الْعَلْمَانِيّةُالحَدِيثَةُ شَجَرَةٌ خَبِيثَةٌ

اعداد

الْدُكْتُور مُحَمَّد أَحْمَد عَبْد الغَنيّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّة يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)

صدق الله العظيم

المُقدمَةُ

الحمْدُ لله ربِّ الْعَالَمين ، والصَّلاة والسَّلام عَلَى سيِّد الأنبياءِ والمرسلينَ، وعَلَى آلهِ وصحبهِ أجمعينَ ومن تـــبعهم بإحسان إلِى يَوْم الْدِّين . أَمَّا بعد :

فإنَّ من أحقِّ المباحث بالتسطير تبيانُ وجه الحقّ فيما تتعاورُه الأفهامُ وتتعرضُ له الأذهانُ من الجهلِ والأوهامِ فِي ضوء علم الْشَّرِيعَة، ولله درّ ابن قَيِّم الجَوْزِيَّة إذ يَقُول : « إنَّ محنةَ الْإِسْلَام والقرآنِ من جهل الصَّديق وبغْـــي ذي الطغيان ».وإنَّ أخطرَ ما يمكن أن يصيبَ أُمَّة من الأمم، هُوَ أن تفقدَ هويّتَها الحضاريّة. فالهويّةُ الحضاريّةُ هِيَ أثمنُ ما يمتلكهُ أيُّ مجتمعٍ من المجتمعات.

ولَقَدْ شاعتْ في دنيا الْمُسْلِمِين اليوم فَلْسَفاتٌ خدعَتْ الكثيرين منا ببريقها، وانتشرتْ شعاراتٌ ومصـــطلحاتٌ أسَرَتْ عقولَ البعض واستحوذَتْ عَلَى الْأَفْكَار. ومِن أشأم تلك الْأَفْكَار ما يسمَّى بالْعَلْمَانيّة.الَّتِي تبثُّ سمومَها في عقول وقلوب أبناء هَذِهِ الأُمَّة وهِيَ تعزلُ الْدِّين عن الْدَّوْلَة وتتنكرُ للحدود الْشَّرْعِيَّة ، وللعبادات، والْمُعَـــامَلات الْدِّينيَّة ، بل تفصلُ الْدِّين عن الْحَياة. لذا؛ فإنِّي سأُميطُ اللثَامَ في هذا البحث المتواضع في حجمه،عن وجه هَـــذِهِ النحلة الضَّالة المضِّلة ، نتعرَّفُ عَلَى الْعَلْمَانيّة وعَلَى أساليبها وطرقها في محاربة الأُمَّة ومحاولتها تقـــويض دعـــائم الْإِسْلَام، وَلِهَذَا قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :إِنَّمَا تُنْقَضُ عُرَى الْإِسْلَام عُرْوَةً عُرْوَةً إِذَا نَشَأَ فِي الْإِسْلَام مَنْ لَمْ يَعْرِفْ الْجَاهِلِيَّة[1] .ولهذا كَانَ لابدَّ من دراسة أساليب الفئة الْعَلْمَانيّة الحديثة في تَغْرِيب الأُمَّة كلِّها لنبتعدَ عـــن هذا الشرِّ وهذا الوباءِ الَّذِي ينذر كارثةً عظيمةً عَلَى الأُمَّة المحمديَّة .

من هنا كَانَتْ هَذِهِ الرسالةُ الموجزةُ عن (الْعَلْمَانيّةُ الحديثة شجرةٌ خبيثةٌ)،لعلها تُؤتي ثمارها في تبصير الْمُسْـــلِمِين بحقيقة هَذِهِ الْدَّعْوَة الكفْرية، ومصادرها ، وخطرها عَلَى ديننا ، وآثارها المميتة ، حَتَّى نسارعَ في التحصُّن منها، ومقاومتها، وفضْح دُعاهَا ، والقضاء عليها – بإذن الله –حَتَّى نعودَ إلى ديننا ، وتعودَ لنا العزة كمـــا كَانَـــتْ ،(وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ)[2].

وأنا أسألُ اللهَ تَعَالى بجوده الَّذِي هُوَ غاية مطلب الطُّلاّب وكرمه الواسع الَّذِي لا يحول دونه سترٍ ولا حجاب أن يجعلَهُ في إصلاح الْدِّين ورجحاناً في ميزاني عند خِفَّة الموازين إِنَّهُ خيرُ مأمولٍ وأكرمُ مسؤولٍ...

الْدُكْتُور مُحَمَّد أَحْمَد عَبْد الغَنيّ

---

[1] ابن قيم الجوزية : الفوائد ،وأنظر : ابن تيمية : مجموع الفتاوى (١٥/ ٥٤).

[2] المنافقون : ٨

مـــا هِيَ الْعَلْمَانِيّة ؟

الْعَلْمَانِيّة كلمةٌ غير متوافرة فِي المعاجم اللغوية الْعَرَبِيَّة القديمة، وقَدْ وردت فِي بعض المعاجم الحديثة ومن ذلِكَ: ما ورد فِي معجم المعلم البستاني: "الْعَلْمَانِيّ: العامي الَّذِي ليس بإكليريكي"[٣]. أي مَنْ لا يخدم الْكَنِيسَة المسيحيَّة . وفِي المعجم العربي الحديث: "عَلماني: ما ليس كنسياً ولا دينياً"[٤]. أي : لا يعترفُ بالْدِّين .

و الترجمة الحقيقيَّة للكلمة الإنجليزيَّة هِيَ "لادينيَّة أولا غيبيَّة أو الدنيويَّة أولا مقدس"،"فاللادينيَّة" أي الفَصْلُ بين الْدِّين والْحَياة و "الدنيويَّة"[٥]أي : صرفُ النَّاس عن الاهتمام بالآخرة، وتوجيههم إلى الْدُّنْيا فحسب .

لكنْ، المسوِّقون الأُوَل لمبدأ الْعَلْمَانِيّة فِي بِلاد الْإِسْلَام علموا أنَّهم لو ترجموها الترجمة الحقيقية بمعنى (اللادينيَّة) لما قبلها النَّاس ولردوها ونفروا منها، فكَانَ اصطلاح الْعَلْمَانِيّة، ليوحيَ بأنَّ لها صلة بالْعِلْم حَتَّى ينخدع الآخرون بصواب الْفِكْرة واستقامتها، ولإيهام النَّاس أنَّ الْعَلْمَانِيّة هِيَ المبدأ الْعَالَمي السائد والمتفق عَلَيْه بين الأمم والشعوب غير المنحاز لأُمَّة أو ثقافة. ومن هنا انطلى الأمرُ عَلَى بَعْض السُذَّج وأدعياء العلم، فقبلوا الْمَذْهَب منبهرين بشعاره دون أنْ ينتبهوا إلى حقيقته وأبعاده.يتضح ذلِكَ مما توره دوائرُ المعارفِ الأجنبية للكلمة:

تقول دائرة المعارف البريطانية:الْعَلْمَانِيّة:"هِيَ حركةٌ اجتماعيةٌ تهدف إلى صرف النَّاس عن الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بالْحَياة الْدُّنْيا وحدها"[٦]. ودائرة المعارف البريطانية حينما تحدثت عن الْعَلْمَانِيّة ، تحدثت عَنْهَــا ضـــمن حديثها عن الإلحاد ، و قَدْ قسمت دائرة المعارف الإلحاد إلى قسمين :إلحاد نظري وإلحاد عملـــي ، وجعلـــت الْعَلْمَانِيّة ضمن الإلحاد العملي .

وتقول دائرة المعارف الأمريكية: "الْعَلْمَانِيّة الدنيوية هى: نِظَام أخلاقي أُسِّسَ عَلَى مبادئ الْأَخْلاق الطبيعيَّة ومستقل عن الديانات السماويَّة أو القوى الخارقة للطبيعة.."[٧].

والتعبير الشائع فِي الكتب الْإِسْلَامِيَّة المعاصرة هُوَ فَصْل الْدِّين عن الْدَّوْلَة. وهو فِي الحقيقة لا يعطي المدلول الكامل للعَلْمَانِيَّة الَّذِي ينطبق عَلَى الأفراد وعَلَى السُّلوك الَّذِي قَدْ لا يَكُونُ له صلة بالْدَّوْلَة[٨]. ولو قيل أنَّ الْعَلْمَانِيّة :"

---

[٣] معجم المعلم بطرس البستاني، والكيرُس أو الإكليرَس: جماعة مفرزون ومكرّسون لخدمة الكنيسة المسيحية كالشمامسة والقساوسة والأساقفة ويقابلهم العلمانيون. انظر:جذور العَلْمَانِيَّة، دكتور السيد أحمد فرج ص(١٥٤) .

[٤] المعجم العربي الحديث د/ خليل الجسر.

[٥] انظر قاموس المورد لمنير البعلبكي، دار الْعِلْم للملايين، بيروت ١٩٧٧م.

[٦] انظر: مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب، ص ٤٤٥ .

[٧] انظر الاتجاهات الفكرية المعاصرة د/ علي جريشة ص ٨٥ نقلاً عن المجلد ٢٤.

فَصْل الْدِّين عن الْحَياة " لكَانَ أصوب ، ولذلِكَ فإنَّ المدلولَ الصحيحَ للعَلْمَانيَّة " إقامةُ الْحَياة عَلَى غير الْدِّين " سواء بالنسبة للأُمَّة أو للأفراد.

فالْعَلْمَانيّة في الاصطلاح:هِيَ دعوةٌ إلى إقامة الْحَياة عَلَى غيرِ الْدِّين.

ولاشك أن كلمة الْعَلْمَانيّة اصطلاحٌ جاهليٌّ غربيٌّ يشير إلى انتصار الْعِلْم عَلَى الْكَنيسَة النصرانية الَّتِي حاربت التطور باسم الْدِّين[9].وقَدْ طُبِّقَتْ الْعَلْمَانيّة في التعليم ومناهجه، فأُبعدَ الْدِّين عنه.وطُبِّقَتْ في الْسِّيَاسَة والْحُكْم فعزل الْدِّين عنهما.وطُبِّقَتْ في الاقتصاد ونُظُم الأموال فعُزل الْدِّين عنهما.وطُبِّقَتْ في الْقَوانِين الْمَدَنيَّة ، فوضع الْعَلْمَانِيُّون قوانينهم. وطُبِّقَتْ في الفنون فانطلق هواةُ الفنِّ ينتجون إنتاجاتهم المختلفة مستهيِنين بالْدِّين وبفضائل الْأخْلاق وبفضائل السُّلوك.

ومما تقدم ذكره نخلص الى أمرين :

أولهما : أن الْعَلْمَانيّة مذهبٌ من الْمَذْاهِب الكُفْرية ، الَّتِي ترمي إلى عزل الْدِّين عن التأثير في الْدُّنْيا ، فهو مذهب يعمل عَلَى قيادة الْدُّنْيا في جميع النَّواحي السِّيَاسِيَّة والاقْتِصَادِيَّة والاجْتِمَاعِيَّة والْأخْلاقِيَّة والقانونيَّة وغيرها ، بعيدًا عن أوامر الْدِّين ونواهِيَه.

ثانيهما :الْعَلْمَانيّة: اصطلاح لا صلة له بكلمة الْعِلْم والْمَذْهَب العِلمي[10]، كما يحاول بَعْضُ المراوغين أن يلبَّسَ عَلَى النَّاس، بأنَّ المراد بالْعَلْمَانيّة: هُوَ الحرص عَلَى الْعِلْم التجريبي والاهتمام به، فَقَدْ تبيَّن كذب هذا الزعم وتلبيسه بِمَا ذكر من معاني هَذِهِ الكلمة في البيئة الَّتِي نشأتْ فيها.

ولهــذا ، لو قيــل عن هَذِهِ الكلمة (الْعَلْمَانيّة) إِنَّهَا :(اللادينية) لكَانَ أدق تعبيرًا وأصدق قيلا، وكَانَ في الوقت نفسه أبعد عن التلبيس وأنجى من التدليس وأوضح في المدلول .

---

[8] انظر: العَلْمَانيَّة لسفر الحوالي ص ٢٣.

[9] انظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ١٠٣.

[10] انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ٣٦٧

صور الْعَلْمَانِيّة

الصورة الأولى :الْعَلْمَانِيّة الملحِدةُ : وهِيَ الْعَلْمَانِيّة الَّتِي تجحد الْدِّين كلية وتنكرُ وجودَ الله الخالق البارئ المصور ،بل وتحارب وتعادي من يدعو إلى مجرد الإيمان بوجود الله.ومن دُعَاة هَذِهِ الصُّورة الملحدة : هِيَجيل وفيرباخ وكارل ماركس وأضرابهم. والْحُكْم بكفر هَذِهِ الْعَلْمَانِيّة أمر ظاهر ميسور لكافة الْمُسْلِمِين ، فلا ينطلي أمرها عَلَيْهِمْ ، ولا يُقبل عليها من الْمُسْلِمِين إلا رجل يريد أن يفـــارق دينه ،فهي اتجاه يسعى لإلغاء الْدِّين إلغاءً كلياً ، وجعل الماديَّة ومفاهِيَم التطور الذاتي للكون ، والإلحاد بالله عزّ وجلّ ، والكفر بكل القيم الْدِّينِيَّة ، هِيَ الْعَقِيدَة السائدة في كل المجتمعات الْانْسَانية .

الصورة الثانية :الْعَلْمَانِيّة غير الملحِدة وهِيَ عَلْمَانِيَّة لا تجحد وجود الله، وتؤمن به إيمانًا نظريًا : لكنها تنكر تدخل الْدِّين في شؤون الْدُّنْيا، وتنادي بعزل الْدِّين عن الْدُّنْيا،بل إِنَّهَا تسمح بإقامة بَعْض الشَّعائر والعبادات بشرط أن تقتصرَ علاقةُ العبد بربه دون أن يَكُونَ للدين علاقة في شؤون الْحَياة الأخرى . فعدم إنكارها لوجود الله ،وعدم ظهور محاربتها للتدين [11]يضلل أكثر عوام الْمُسْلِمِين عن حقيقة هَذِهِ الْدَّعْوَة الكفرية، فلا يتبينون ما فيها من الكفر لقِلّة علمهم ومعرفتهم الصحيحة بالْدِّين. ومن دُعَاة هَذِهِ المرحلة: فولتير في فرنسا، وشفتسيري في إنجلترا، وليسنج في ألمانيا، وجون لوك في انكلترا وهوبز وديكارت وبيكون وسبينوزا وجان جاك روسو، وأضرابهم[12].

الصورة الثالثة :الْعَلْمَانِيّة الُمتديِّنة :وأهلها أفراد من الْمُسْلِمِين ويعيشون بين الْمُسْلِمِين ، مِن ذوي الْفِكْر المقبوح والتوجُّه المفضوح؛ عبدوا الله سُبْحَانَهُ عَلَى حرف؛ لم يعرفوا من الْإِسْلَام الا اسمه، ولا من القرآن الا رسمه ، كرمهم الله بالاسْلام فاختاروا لَهُمْ الغرب قِبْلةً ، والعَلمَنَة مهنَةً . فهل يعقلُ أنْ نجدَ مسلماً (يعتنق الْإِسْلَام دينا) يَقُول: انا مسلم عَلْمَانِيّ !. يتساءلون في استنكار: ما للإسلام وسلوكنا الاجتماعي؟! وما للإسلام واختلاط الْرِّجَال مع النِّسَاء عَلَى الشواطئ والمنتزهات؟! وما للإسلام وزي الْمَرْأَة في الطريق؟! وما للإسلام والْمَرْأَة وحريتها

---

(11) كثير من النَّاس لا يظهر لَهُمْ محاربة العَلْمَانِيَّة (غير الملحدة) للدين ؛ لأن الْدِّين انحصر عندهم في نطاق بعض العبادات ، فإذا لم تمنع العَلْمَانِيَّة مثلاً الصلاة في المساجد ، أو لم تمنع الحج إلى بيت الله الْحَرام ، ظنوا أن العَلْمَانِيَّة لا تحارب الْدِّين ، أَمَّا من فهم الْدِّين بالفهم الصحيح ، فإنه يعلم علم اليقين محاربة العَلْمَانِيَّة للدين ، فهل هناك محاربة أشد وأوضح من إقصاء شريعة الله عن الحكم في شتى المجالات ، لو كَانُوا يفقهون .

12 انظر الاتجاهات الفكرية المعاصرة د/ جمعة الخولي ص ٩٢، الموسوعة الميسرة ص ٣٦٧-٣٦٨، كواشف زيوف ص ١٦٤، العَلْمَانِيَّة وثمارها الخبيثة، ص ١٥-١٦.

الْشَّخْصِيَّة في سفرها دون محرم وتصرفها في شؤونها؟! يهاجمون الْحِجَاب والجلباب، ويطالبون بالسّفور والاختلاط، وينادون بمُسَاواة الرّجل بالْمَرْأَة وعملِ الْمَرْأَة وحُرِّيَّة الْمَرْأَة .فأيُّ مُسَاواةٍ يريدون؟! وأيُّ عملٍ يقصدون؟! وأيُّ حُرِّيَّةٍ ينشدون؟! أهِيَ الْمُسَاواة الَّتِي تتوافق مع الفِطرة وتتناسق مع طبيعة الْمَرْأَة، أم هِيَ مُسَاواة الشذّاذ؟!.

ويَقُولُون: ما للدِّين والْمُعَامَلات الربويَّة؟! وما للدِّين والْسِّيَاسَة والْحُكْم؟! وهم يقرُّون بنصْرة وتأييد وموالاة غير المؤمنين تحت ستار الْوَطَنِيَّة الاقليمية (فلسطيني ، لبناني...) والْقَوْمِيَّة الْعَرَبِيَّة متناسين أُخوَّة الْإِسْلَام ، بل يركبون مركبَ الطُّغاة والمستبدِّين تحت ستار الْوَطَنِيَّة والْقَوْمِيَّة ضد اخوانهم الْمُسْلِمِين المظلومين . وهم يرددون الطعنَ والثَّلْبَ بالعُلماء والأئمَّة .فهؤلاء قومٌ بُهت دنَّسوا وجهَ ما كتبوا عَلَيْه من قِرطاس، ولطَّخوه بعقائدِ الشكِّ والجُحود والوسواس، ألسنةٌ شأنُها الإفك والخطَل، وقلوبٌ أفسدَها سوءُ العمل، يريدونَها فتنةً عمياء، ويبغونها حياةً عوجاء.

وقَدْ يَقُول قائل :وكيف تسمي هذا الصنف بالْعَلْمَانِيّة الْمُتديِّنة؟ فأقول إِنَّهُ اصطلاح يُطلقُ عَلَى أُناسٍ لا يفصلون بين الْدِّين والْحَيَاة فصْلا قاطعاً وانما ينتقون مجالات اللقاء والفَصْل وفقاً لما تقتضيه مصالحهم ووجهتهم، فعلى مستوى الْدَّوْلَة يؤكِّدون أنَّ الْإِسْلَام هُوَ دين الْدَّوْلَة لإضفاء طابع الْشَّرْعِيَّة الْدِّينِيَّة عَلَى بَعْض الممارسات كالاحوال الْشَّخْصِيَّة ،في حين يسايرون الغرب في معظم أحكامه المتعلقة بنظَام الْحُكْم والاقتصاد وعَلَى المستوى الفردي ينتقي من الْإِسْلَام ما يناسبه فهو يؤدِّي العبادات لكنَّه يتوقف عند الكثير في الْمُعَامَلات.

ومن الباحثين من يرى تقسيماً آخر للعَلْمَانيّة مفاده : الْعَلْمَانِيَّةُ الجزئية والْعَلْمَانِيّةُ الشاملة :

الْعَلْمَانِيّةُ الجزئية هي فَصْل الْدِّين عن الْدَّوْلَة ، وتذهب هذه الرؤية إلى وُجُوب فَصْل الدِّيْن عن عالم السياسة وربما الاقتصاد، ومثل هذه الرؤية الجزئية تلتزم الصمت بشأن المجالات الأخرى من الحياة، كما إنها لا تنكر بالضرورة وجود مطلقات وكليات أخلاقية وإنسانية وربما دِينية، كما إنها رؤية محددة للإنسان فهي قد تراه إنسانا طبيعيا ماديًّا في بعض جوانب حياته (رؤية الحياة العامة وحسب) لكنها تلزم الصمت فيما يتصل بالجوانب الأخرى من حياته.وفيما يتصل بثنائية الوجود الإنساني، ومقدرة الإنسان على التجاوز، لا تسقط العلمانية الجزئية في الواحدية الطبيعية المادية، بل تترك للإنسان حيزه الإنساني يتحرك فيه كيفما يشاء.

والْعَلْمَانِيّةُ الشَامِلة هي فَصْل الْدِّين عن الْحَيَاة . أي العمل عَلَى قيادة الْدُّنْيا في جميع النَّواحي السِّيَاسِيَّة والاقْتِصَادِيَّة والاجْتِمَاعِيَّة والْأَخْلَاقِيَّة والقانونيَّة وغيرها ، بعيدًا عن أوامر الْدِّين ونواهِيَه. فالعلمانية الشاملة وحدة

وجود مادية وأنَّ العالَم بأسره مكون أساسًا من مادة واحدة لا قَدَاسَة لها، ولا تحوي أية أسرار، وفي حالة حركة دائمة لا غاية له وأن العالم وجد بطريق المصادفة .[13]

وهنا نشير إلى خطأ قبول الْعَلْمَانِيّة الجزئية وإن الْعَلْمَانِيّة الجزئية تتساوى في التحريم مع الْعَلْمَانِيّة الشاملة، لكن الاختلاف بينهما يكمن في الكم وليس في أصل المشكلة.فكلاهما يشتركان في اقصاء الدين ، ولا حجة للبعض كالأستاذ راشد الغنوشي الذي أشاد في قبولها وتزكيتها، من خلال قوله : (أن المجال السياسي أساسه جلب المصالح ودرء المفاسد وأداته العقل، وأن المجال الديني أساسه الوحي وبالتالي يسمح بتبلور مؤسستين إحداهما سياسية والأخرى دينية) . فالتصورُ الإسلاميُّ لا يميّز بين الشأن الدنيوي الذي هو أوسع من السياسي وبين الشأن الديني، إذ يعتبر التصور الإسلامي أنَّ كل نشاط دنيوي يقوم به المسلم يبتغي به وجه الله فهو عبادة، كما وضّح ذلك الرسول في حديثه الذي قال فيه: فِي بِضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ " قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَأْتِي أَحَدُنَا أَهْلَهُ فَيَكُونُ لَهُ فِيهِ أَجْرٌ ؟ قَالَ : " أَرَأَيْتَ إِنْ وَضَعَهَا فِي الْحَرَامِ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلالِ كَانَ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ " "[14] فإن السياسي خاضع للديني، ويدل على ذلك أن كل الأحكام التي تنفّذها الدولة مستقاة من الشريعة الإسلامية من مثل أحكام الحدود كحدّ السرقة والزنا والخمر وقتل النفس والحرابة ، ومن مثل أحكام المال كتحليل البيع وتحريم الربا وتشريعات الإرث والرهن ، ومن مثل أحكام الأسرة كالمهر والطلاق والزواج والرضاعة.

والحاصل : أنَّ الْعَلْمَانيّةَ بصورها نوع من أنواع الردة، ومن آمن بها وتبناها بعدما علم دين الْإِسْلَام وتبين له الحق وقامت عَلَيْه الْحُجَّة وزالت عنه الموانع، فَقَدْ خرج من دين الْإِسْلَام؛ ذلِكَ لأن الْإِسْلَام عَقِيدَة عقليَّة ينبثق عَنْهَا نِظَام لجميع شؤون الْحَياة.أَمَّا الْعَقِيدَة فهِيَ فكرة كلية عن الكون والْانْسَان والْحَياة. وأَمَّا النِّظَام المنبثق عن هَذِهِ الْعَقِيدَة فهو معالجات لمشْكلات الْانْسَان. فالْإِسْلَام يَقُول بالخلْق والتدبير الالهِيَ وهذا خلاف الرَّأْسُمَالِيَّة الْدِّيمُقْراطِيَّة الَّتِي تقول بأنَّ الخلْقَ الالهِيَّ موجودٌ ولكنَّ التدبيرَ الالهِيَّ مفقودٌ.والْإِسْلَام خلاف الْاشْتِراكِيَّة الْشُّيُوعِيَّة الَّتِي تنكر الخلقَ والتدبيرَ الالهِيَّ وتراهما ماديين فقط.

فالْإِسْلَام دين كامل، ومنهج واضح، لا يقبل ولا يجيز أن يشاركَهُ منهجٌ آخر، قَالَ تَعَالى مبينًا وجوب الدخول في كل مناهج الْإِسْلَام وتشريعاته: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّة)[15] ، وقَالَ سُبْحَانَهُ مبينًا كفر من أخذ

[13] عبد الوهاب المسيري : العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة ، الناشر : دار الشروق – القاهرة (بتصرف)

[14] رواه مسلم

[15] البقرة: ٢٠٨

بعضًا من مناهج الْإِسْلَام ورفض الآخر: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَياة الْدُّنْيا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُون﴾[16] ، والأدلة الْشَّرْعِيَّة كثيرة جدًّا في بيان ضلال من أنكر شيئًا معلومًا بالضَّرورة من دين الْإِسْلَام.

أسبابُ ظهور الْعَلْمَانِيّة في الْغَرْب

لَقَدْ نشأت الْعَلْمَانِيّة في الْغَرْب نشأةً طبيعيَّة نتيجة ظروف ومعطيات تاريخيَّة : دينيَّة واجتماعيَّة وسِيَاسِيَّة وعلميَّة واقتصاديَّة. وأهم هَذِهِ الظروف والمعطيات الَّتِي برزت وأنضجت التجربة الْعَلْمَانِيّة في الْغَرْب هِيَ :

أولاً: طغيان رجال الْكَنِيسَة: لَقَدْ عاشت أوروبا في القرون الوسطى تحت طغيان رجال الْكَنِيسَة وهِيَمنتهم، وفساد أحوالهم،واستغلال الْسُّلْطَة الْدِّينِيَّة لتحقيق أهوائهم، وإرضاء شهواتهم،تحت قناع القداسة الَّتِي يضفونها عَلَى أنفسهم، وقَدْ شمل هِيَمنة الْكَنِيسَة النواحي الْدِّينِيَّة، والاقْتِصَادِيَّة، والسِّيَاسِيَّة، والعلميَّة، ففرضت بطغيانها هذا عَقِيدَة التثليث قهراً، الَّتِي عملت دسائس اليهود مُنْذُ القرن الأول الميلادي عَلَى إدخالها في المسيحية ،وحرّمت ولعنت مخالفيها. والأحكام الْتَشْرِيعيَّة معظمها أوامر وقرارات كنسية بابوية وهى تُحلّلُ وتُحرِّم[17]. ونصّبت الْكَنِيسَة نفسها عن طريق المجامع المقدسة "إلهاً" يُحلُّ ويُحرِّمُ، ينسخُ ويضيف، وليس لأحد حق الاعتراض، أو عَلَى الأقل حق إبداء الرأي كائناً من كَانَ، وإلا فالحرمان مصيره، واللعنة عقوبته؛ لأَنَّهُ كافر ((مهرطق))[18]. وقَدْ كَانَ الختان واجباً فأصبح حراماً، وكَانَتْ الميتة محرمة فأَصْبَحَت مباحة، وكَانَتْ التماثيل شركاً ووثنية فأَصْبَحَت تعبيراً عن التقوى، وكَانَ زواج رجال الْدِّين حلالاً فأصبح محظوراً وأضافت الْكَنِيسَة إلى عَقِيدَة التثليث عقائد وآراء أخرى و الَّتِي هى خليط من وثنيات الْعَالَم القديم نحو : التعميد و العشاء الرباني و تقديس الصليب وحمله وعَقِيدَة الخطيئة الموروثة و صكوك الغفران والحرمان بل سرعان ما دخلها عنصر جديد فاضح ذلِكَ ما يسمى "الاعتراف" فكَانَ عَلَى المذنب أن يعترف بذنبه،في خلوة مع قسيسه؛ ليستطيعَ هذا القسِّيس أن يغفرَ له ذنبه[19].

---

[16] البقرة: ٨٥

[17] انظر: كواشف زيوف لعبد الرحمن الميداني ص ٢٣.

[18] انظر: العَلْمَانِيَّة لسفرالحوالي ص١٢٨، والهرطقة – كما فهمتها الكنيسة إذ ذاك – هي: مخالفة رأي الكنيسة، فرأي يراه عالم في العلوم الكونية هرطقة، ومحاولة فهم الكتاب المقدس لرجل غير كنسي هرطقة، وانتقاد شيىء يتصل بالكنيسة هرطقة.انظر: المسيحية، لأحمد شلبي ص ٢٥٦.

[19] المسيحية لأحمد شلبي ص٢٥٥، والنصرانية لأبي زهرة ص٢٠٣.

ويمكن إيجاز مظاهر الطغيان الكَنَسِيّ المالي في الأملاك الإقطاعية بقول ديورانت[٢٠]: "أَصْبَحَت الْكَنِيسَة أكبر ملاك الأراضي وأكبر السادة الإقطاعيين في أوروبا،كما كَانَتْ الْكَنِيسَة تملك المساحات الشاسعة من الأراضي الزراعية باعتبارها أوقافاً للكنيسة . وقَدْ قَالَ المصلح الكنسي "ويكلف" – وهو من أوائل المصلحين –: "إن الْكَنِيسَة تملك أراضي إنجلترا وتأخذ الضرائب الباهظة من الباقي، وطالب بإلغاء هَذِهِ الأوقاف واتهم رجال الْدِّين بأنهم "أتباع قياصرة لا أتباع الله"[٢١].كما فرضت الْكَنِيسَة عَلَى كل أتباعها ضريبة (العشور) وبفضلها كَانَتْ الْكَنِيسَة تضمن حصولها عَلَى عشر ما تغلُّه الأراضي الزراعيَّة والإقطاعيَّات، وعشر ما يحصل عَلَيْه المهنيون وأرباب الحرف غير الفلاحين و لم يكن في وسع أحد أن يرفضَ شيئاً من ذلِكَ، فالشعب خاضع تلقائياً لسطوتها [٢٢].أَمَّا الطغيان السياسي فقَدْ بلغت سلطة البابا الْدِّينِيَّة المهيَمنة عَلَى ذوي الْسُّلْطَة الإدارية والسِّيَاسِيَّة أوجها، حَتَّى كَانَ باستطاعة البابا أن يتوج الملوك والأباطرة، وأن يخلع تيجانهم إذا نازعوه ورفضوا أوامره.

ثانياً: الصراع بين الْكَنِيسَة واالْعِلْم:

وكَانَ ذلِكَ في عصر انفجر فيه بركَان العقلية في أوروبا، وحطم علماء الطبيعة والعلوم سلاسل التقليد الْدِّينِي، فقامت قيامة الْكَنِيسَة ، وقام رجالها المتصرفون بزمام الأمور في أوروبا ، وكفروهم واستحلوا دماءهم وأموالهم .

١–القسيس "كوبرنيق" أتى والْكَنِيسَة آخذةً بنظرية "بطليموس" الَّتِي تجعل الأرض مركز الكون، وتقول:إن الأجرام السماوية جميعها تدور حولها.فَقَالَ بنظرية مخالفة في كتابه "حركات الأجرام السماوية". فثارت ثورة الْكَنِيسَة ضده ، وقبل أن يساق إلى محكمة التفتيش أدركته منيته ، فحرمت الْكَنِيسَة هذا الكتاب ، ومنعت تداوله ، وقالت : إن ما فيه هُوَ وساوس شيطانية مغايرة لروح الإنجيل .

٢–الْعَالم الطبيعي المعروف "جيوردانو برونو" نقمت مِنْهُ الْكَنِيسَة آراءً من أشدها قوله بتعدد العوالم ونادى بنظرية "كوبرنيق"، فقبضت عَلَيْه محكمة التفتيش ، وزجت به في السجن ست سنوات ، فلما أصرَّ عَلَى رأيه حكمت عَلَيْه بالقتل ، واقترحت بأن لا تراق قطرة من دمه، و كَانَ ذلِكَ يعني أن يُحرقَ حيَّاً ، وكَانَ ذلِكَ سنة (١٦٠٠م).

---

[٢٠] ديورانت هو مؤلف كتاب قصة الحضارة، وهو كتاب كبير يقع في ٣٠مجلداً، تحدث فيه عن قصة الحضارة منذ فجر التاريخ إلى العصر الحاضر. انظر: مقدمة كتاب قصة الحضارة.

[٢١] انظر: تاريخ أوربا لفيشر (٢/٣٦٢–٣٦٤).

[٢٢] المرجع السابق (٢ / ٣٨٠).

٣-"جاليلو" الَّذِي توصل إلى صنع المنظار الفلكي "التلسكوب" فأيد بمشاهداته نظرية "كوبرنيق" وقَالَ بدوران الأرض فسيق إلى محكمة التفتيش ، وحكم عَلَيْه سبعة كرادلة بالسجن ، وفرضوا عَلَيْه تلاوة مزامير الندم السبعة مرة كل أسبوع طوال ثلاث سنوات.ولما خاف "جاليليو" من المصير الَّذِي انتهى إليه "برونو" أعلن توبته ، ورجوعه عن رأيه ، وركع أمام رئيس المحكمة قائلاً :" أنا جاليليو و قَدْ بلغت السبعين من عمري سجين راكع أمام فخامتك ، والكتاب المقدس أمامي ألمسه بيدي ، أرفض وألعن وأحتقر القول الإلحادي المخطئ بدوران الأرض" .وتعهد للمحكمة بأن يبلغها عن كل ملحد يوسوس له الشيطان بتأييد هذا الزعم المضلل .

ثالثاً: الثـــورة الفرنســـية: ونتيجة لوضع الْكَنِيسَة ودينها المحرف، دبّر اليهود مكايدهم لاستغلال الثورة النفسية الَّتِي وصلت إليها الشعوب الأوروبية، لاسيما الشعب الفرنسي.. فأعدوا الخطط اللازمة؛ لإقامة الثورة الفرنسية الرامية إلى تغيير الأوضاع السائدة، وفي مقدمتها عزل الْدِّين النصراني المحرف الَّذِي حارب الْعِلْم عن الْحَيَاة، وحصره في داخل الْكَنِيسَة. وفعلاً قامت الثورة الكبرى عام (١٧٨٩م) ومما يدل عَلَى أن الثورة الفرنسية هِيَ من صنع اليهود وتدبيرهم ماتتبجح به بروتوكولاتهم فتقول: "تذكروا الثورة الفرنسيةالَّتِي نسميها "الكبرى"إن أسرار تنظيمها التمهِيَدي معروفة لنا جيداً لأَنَّهَا من صنع أيدينا"[٢٣]. ونجحت الثورة وأحلت الْجَمْعِيَّات الْدِّينِيَّة، وسرحت الرهبان والراهبات، وصادرت أموال الْكَنِيسَة، وألغت كل امتيازاتها، وحوربت العقائد الْدِّينِيَّة هَذِهِ المرة علناً وبشدة...[٢٤]

رابعا : طبيعة التعاليم النصرانية:أن التعاليم النصرانية قَدْ تحولت إلى طقوس جامدة لا حياة فيها مثل: "من لطمك عَلَى خدِّك الأيمن فحوِّل له الآخر أيضاً، ومن أراد أن يخاصمَك ويأخذَ ثوبَك فاتركْ له الرداء أيضاً، ومن سخَّرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين"[٢٥]."لاتهتموا لحياتكم بِمَا تأكلون ولا للجسد بِمَا تلبسون"[٢٦]. لَقَدْ نظرتْ أوروبا إلى هَذِهِ التعاليم الموغلة في السماحة فوجدها بعيدة عن واقع الْحَيَاة وظروف العصر.

[٢٣] انظر: البروتوكول الرابع في الخطر اليهودي لمحمد خليفة التونسي ص ١١٨.

[٢٤] انظر: العَلْمَانيَّة لسفرالحوالي ص١٦٩.

[٢٥] متى:٤٠:٥-٤٢.

[٢٦] لوقا:٢٢:١٢.

خامسا : دور اليهود:وليس غريباً أن يَكُونَ اليهود وراء الْدَّعْوَة إلى إقامة الْحَياة عَلَى غير الْدِّين، وذلِكَ من أجل السيطرة، ومن أجل إزالة الحاجز الْدِّيني الَّذِي يقف أمام اليهود حائلاً بينهم وبين أمم الأرض[27].

وبعد،لَقَدْ عاشت أوروبا بسبب دينها المحرف المبدل، انفصاماً رهِيَباً بين الْعِلْم والْدِّين، فكان الْدِّين يحارب العلم، حَتَّى إن كثيراً من علماء أوروبا قَدْ أُحرقوا بالأفران، وسُمِّلتْ أعيُنُهُم، وعُلِّقُوا عَلَى أعواد المشانق، بحجة أنهم خالفوا كلمة الله، والتاريخ الْإِسْلَامِيّ لم يعرفْ تلك التعاسة الَّتِي عاشتها أوروبا، فإنَّ الْإِسْلَام فتح للعلم أبوابه وذراعيه. فالتاريخُ الْإِسْلَامِيّ هُوَ تاريخ التلاحم بين الْدِّين الَّذِي كان أول ما نــزل مِنْهُ: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ).[28] وبين الْعِلْم الَّذِي هُوَ ثمرة من ثمرات التمسك بهذا الْدِّين، واستجابة لأمر الله عز وجل بالْعِلْم والتعلم والقراءة، لذلِكَ فإن الَّذِينَ يريدون نقل الْعَلْمَانِيّة إلى بِلاد الْمُسْلِمِين يتجاهلون هذا الفرق الكبير بين تاريخ الْإِسْلَام ودين الْإِسْلَام وبين تاريخ أوروبا ودين أوروبا.

عوامل انتقال الْعَلْمَانِيّة إلى الْعَالَم الْإِسْلَامِيّ

لَقَدْ دخلت الْعَلْمَانِيّة بِلاد الْمُسْلِمِين لأسباب عديدة يمكن إيجازها فيما يلي :

١-**الاحتلال العسكري الاستعماري** :فَقَدْ وفدت الْعَلْمَانِيّة إلى الشرق في ظلال الحرب العسكريَّة وعبر فوَّهات المدافع والبوارج البحريَّة .وبذرت بذور الْعَلْمَانِيّة عَلَى المستوى الرسمي قبل جلاء جيوش الاستعمار عن البِلاد الَّتِي ابتليت بها .

٢-**الابتعاث وما جرَّه من ويلات عَلَى الْمُسْلِمِين** ؛ حَيْثُ يذهب الْمُسْلِم إلى الخارج وهو خاوي الوفاض من دينه فيعود حرباً عَلَى أمته ودينه . وما " طه حسين " و" رفاعة الطهطاوي " إلا أمثلة خجلى أمام غيرهم من الأمثلة الصارخة الفاقعة اللون مثل " زكي نجيب محمود" و" محمود أمين الْعَالم " و"فؤاد زكريا"و "عبد الرحمن بدوي"وغيرهم الكثير.

---

[27] انظر: أحجار على رقعة الشطرنج لوليام غاي كار ص٧٥ وما بعدها، أخطار على الغزو الفكري على العالم الاسْلامي لصابر طعيمة ص٢٠٩، الموسوعة الميسرة ص ٣٧١، احذروا الأساليب الحديثة ص ١٩٩.

[28] العلق:١

٣- **البعثات التبشيرية** : فالمنظمات التبشيرية النصرانية الَّتِي جابت الْعَالَم الْإِسْلَامِيّ شرقاً وغرباً من شتى الفرق والْمَذْاهِب النصرانية جعلت هدفها الأول زعزعة ثقة الْمُسْلِمِين في دينهم، وإخراجهم مِنْهُ، وتشكيكهم فيه،حَتَّى وإنْ لم يعتنقوا النصرانية ، وهؤلاء المبشرين : إمَّا من الْغَرْبيين مثل "زويمر"و"دنلوب"، وإمَّا من نصارى العرب مثل "أديب إسحاق"و "شلبي شميل"و"سلامة موسى"و"جرجي زيدان "وأضرابهم .. ومنهم من كَانَ يعلن هويته التبشيرية ويمارس عَلمنة أبناء الْمُسْلِمِين "كزويمر"ومنهم من كَانَ يعلن عَلمانيته فقط،ويبذل جهده في ذلِكَ "كسلامة موسى"و"شبلي شميل".

٤- **المدارس والجامعات الأجنبية** ففي أواخر الدَّوْلَة العثمانية وحين سيطر الماسونيون الْعَلْمَانيُّون عَلَى مقاليد الأَمْر سمح للبعثات التبشيرية والسفارات الْغَرْبيَّة بإنشاء المدارس والكليات، وانتشرت في بلادالْشَّام والأناضول انتشار النار في الهشيم، وخرجت أجيال من أبناء وبنات الْمُسْلِمِين أصبحوا بعد ذلِكَ قادة الْفِكْر والْثَّقَافَة ودُعَاة التَحْرير والانحلال.ومن الأمثلة عَلَى ذلِكَ الجامعة الأمريكية في بيروت، والَّتِي في أحضانها نشأت العديد من الحركات والْجَمْعيَّات الْعَلْمَانيّة، وقَدْ سرت العدوى بعد ذلِكَ إلى الكثير من الجامعات والمؤسسات الْتَّعْليميَّة الرسمية في العديد من البلاد الْعَرَبيَّة والْإِسْلَامِيَّة.

٥-**الْجَمْعيَّات والمنظمات والأحزاب الْعَلْمَانيّة**:الَّتِي انتشرت في الأقطار الْعَرَبيَّة والْإِسْلَامِيَّة، مابين يساريَّة وليبراليَّة وقوميَّة وأمميَّة وسِيَاسِيَّة واجتماعيَّة وثقافيَّة وأدبيَّة،بجميع الألوان والأطياف وفي جميع البلدان،حَيْثُ أنَّ النُّخبَ الثقافيَّةَ في غالب الأحيان كَانُوا إما من خريجي الجامعات الْغَرْبيَّة أو الجامعات السائرة عَلَى النهج ذاته في الشرق، وبعد أن تكاثروا في المجتمع عمدوا إلى إنشاء الأحزاب الْقَوْمِيَّة أو الْشُّيُوعِيَّة أو الليبراليَّة، وجميعها تتفق في الطرح الْعَلْمَانِيّ، ومن الأمور اللافتة للنَّظر أنَّ أشهرَ الأحزاب الْعَلْمَانيّة الْقَوْميَّة الْعَرَبيَّة إنما أسسها نصارى بَعْضُهُمْ ليسوا من أصول عربية، أمثال "ميشيل عفلق"، والكثرة الساحقة من الأحزاب الْشُّيُوعِيَّة الْعَلْمَانيّة إنما أسسها يهود مليونيرات أمثال "كوريل".

٦- **البعثات الدبلوماسية** : سواء كَانَتْ بعثات للدول الْغَرْبيَّة في الشرق،أو للدول الشرقية في الْغَرْب، فَقَدْ أَصْبَحَت في الأعمِّ الأغلب جسوراً تمرُّ خلالها عَلمانية الْغَرْب الأقوى إلى الشرق الأضعف من خلال الإيفاد،ومن خلال المنح الدراسية وحلقات البحث العِلمي،والتواصل الاجتماعي،والمناسبات والحفلات،ومن خلال الضغوط الدبلوماسية والابتزاز الاقتصادي.

٧- **وسائل الإعلام المختلفة** :من مسموعة أو مرئية أو مقروءة،لأنَّ هذِهِ الوسائل كَانَتْ من الناحية الشكلية من منتجات الحضارة الْغَرْبيَّة-صحافة أو إذاعة أو تلفزة-فاستقبلها الشرق واستقبل معها فلسفتها ومضمون رسالتها، وكَانَ الرواد في تسويق هَذِهِ الرسائل وتشغيلها والاستفادة منها إما من النَّصَارَى أو من الْعَلْمَانيّين من أبناء الْمُسْلِمِين، فكَانَ لها الدور الأكبر في الوصول لجميع طبقات الأُمَّة، ونشر مبادئ وأفكار وقيم الْعَلْمَانيّة، وبالذات من خلال الفن، وفي الجانب الاجتماعي بصورة أكبر.

٨- **التأليف والنشر في فنون شتى من العلوم وبالأخص في الْفِكْر والأدب** : ومثل ذلِكَ في الدراسات الْفِكْرِيَّة المختلفة في علوم الاجتماع والنَّفْس والعلوم الْانْسَانية المختلفة،حَيْثُ قدَّمت لنا نتائج كبار ملاحدة الْغَرْب وعَلمانييه عَلَى أنه الحقُّ المطلق، بل الْعِلْم الأوحدُ ولاعلمَ سواه في هَذِهِ الفنون . ومما يؤسف له انَّ تلك العلوم تدرس لطلابنا في المرحلة الثانوية في لبنان .

الثمار الخبيثة للعَلْمَانِيَّة في تَغْرِيب المجتمع الْإِسْلَامِيّ[٢٩]

فَقَدْ أرشد الله تَعَالى إلى تتبع المجرمين من الكفَّار والمنافقين،والنظر في أفعالهم وطرقهم في هدم هذا الْدِّين، فَقَالَ الله تَعَالى (وَكَذلِكَ نُفَصِّلُ الْآياتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ)[٣٠]،وأمر الله تَعَالى نبيه صلى الله عَلَيْه وَسَلَّم أن يجاهد المنافقين، فَقَالَ تَعَالى:(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ)[٣١]،وجهاد الكفار يشمل الحجة والسِّنان، أَمَّاجهاد المنافقين فهو بالحجَّة والبيان، لأنَّ لَهُمْ حكم الْإِسْلَام فهم يتخفون ولا يظهرون ما يعتقدون.وقَدْ فضح الله تَعَالى المنافقين في كتابه الكريم في سورٍ كثيرة :في سورة البقرة ، وسورة النِّسَاء،وفي سورة التوبة الَّتِي سميت بالفاضحة حَتَّى قَالَ بَعْض الصحابة رضي الله عنهم:ما زالت سورة التوبة تنزل (ومنهم)(ومنهم)حَتَّى ظننا أَنَّهَا لا تبقي أحداً . وفي سورة الأحزاب بيان عن مواقفهم وقت الشدائد ، وسمّى الله تَعَالى سورة في كتابه الكريم عن هَذِهِ الفئة،وهَذِهِ الفئة مهما تخفت فإن الله تَعَالى يظهر ما تضغنه صدورهم وما تبطنه قلوبهم:(أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ

---

[٢٩] التَغْرِيب : هو تذويب الأُمَّة المحمدية بحَيْثُ تصبح أُمَّة ممسوخة : نسخة أخرى مكررة من الأُمَّة الغربية الكافرة ، غير أن هناك فرق فالأُمَّة الغربية هي الأُمَّة القائدة الحاكمة المتصرفة والأمم الأخرى هي الأمم التابعة الذليلة المنقادة لما يملى عليها ، فهذا هو التَغْرِيب.

[٣٠] الأنعام : ٥٥.

[٣١] التوبة : ٧٣

بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ)[٣٢]فهِيَ فئة مفضوحة ، يفضحها الله تَعَالى ويظهر خباياها ليعرفها النَّاس ولا ينخدعوا بها وكل إناء بِمَا فيه ينضح. ومن اناء الْعَلْمَانيّة الَّذِي ينضح باقصاء الْدِّين عن الْحَياة :

١-رفض الْحُكْم بِمَا أنزل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى ، وإقصاء الْشَّرِيعَة عن كافة مجالات الْحَياة .

٢-الْدَّعْوَة الى الْدَّوْلَة الْمَدَنِيَّة أو الْدِّيمُقْراطِيَّة بمرجعية إسْلَامِيَّة.

٤-إفساد التعليم وجعله خادمًا لنشر الْفِكْر الْعَلْمَانِيّ.

٥- نشر الإباحية والفوضى الْأَخْلاقِيَّة.

٦-الْدَّعْوَة إلى الْقَوْمِيَّة أوالْوَطَنِيَّة أوالعُرُوبَة.

٧-تَغْرِيبُ الْمَرْأَة الْمُسْلِمَة من خِلالِ الأسَالِيْبِ المتنوِّعةِ .

٨- تَغْرِيبُ الْفِكْر الْإِسْلَامِيّ.

الْعَلْمَانيّةُ ورفضُ الْحُكْمِ بِمَا أنزلَ اللهُ تَعَالى

تقرِّرُ الْعَلْمَانِيّة رفض الْحُكْم بِمَا أنزل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى ، وإقصاء الْشَّرِيعَة عن كافة مجالات الْحَياة ، والاستعاضة عن الوحي الإلهِيَ الْمُنَزَّل عَلَى سيد البشر محمد بن عبدالله ، بالْقَوانين الوضعية الَّتِي اقتبسوها عن الكفار المحاربين لله ورسوله،واعتبار الْدَّعْوَة إلى العودة إلى الْحُكْم بِمَا أنزل الله وهجر الْقَوانِين الوضعية تخلفًا ورجعية وردة عن التقدم والحضارة. متناسين قول الله تَعَالى : (إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ) . [٣٣]

واستقرار هَذِهِ الحقيقة،حقيقة أن الْحُكْم لله وحده في نفس المؤمن ينير له الطريق ويحدد معالمه فلا يلتفت يمنة أو يسرة باحثاً عن الأحكام والحلول والمعالجات ويسكب في نفسه الطمأنينة إلى طريقة ويعتقد جازماً أن الله راعيه وحاميه ومسدد خطاه، فهو بمقدار يقينه بصدق توجهه، متيقّن بفساد التوجيهات الأخرى وعدم صلاحية المعالجات والآراء المغايرة لما هُوَ عَلَيْه من صدق ويقين.

وبذلك تكون المرجعية الوحيدة هي الشَّرْع ولا شَيْء سوى الشَّرْع من عقل أو دساتير وقوانين وضعية أو مواثيق إقليمية أو دولية، والْسِّيَادَة للشرع وليست للشعب والأحكام تصدر باسم الله وليس باسم الْحَاكِم أو الشعب،

[٣٢] محمد : ٢٩-٣٠

(٣٣) الأنعام / ٥٧.

وهكذا تقوم شرعة الْحُكْم في الْإِسْلَام عَلَى أساس شهادة أن لا إله إلا الله، انطلاقاً من قـــول الله تَعَـــالى: (إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ)[٣٤] وقوله : (وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا)[٣٥] وما عَلَى الْمُسْلِم إلا أن يخضع لحكم الله تَعَالى ، لقوله عـــزّ وجـــلّ: (إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[٣٦]. ومن هنا فالْحَاكِمِيَّة لله تَعَالى لا شريك له وهذا أمر معلوم من الْدِّين بالضـــرورة، والْحَاكِم الْمُسْلِم يختاره الْمُسْلِمُون ليطبق عَلَيْهِمْ حكم الله تَعَالى ولا يتعداه.

قَالَ الإمام الغَزَالي: « وفي البحث عن الْحَاكِم يتبين أَنَّهُ لا حاكم إلا الله ولا حكم للرسول ولا للسَـــيِّد عَلَـــى العبد ولا لمخلوق عَلَى مخلوق، بل كل ذلك حكم الله تَعَالى ووضعه ولا حكم غيره... وأَمَّا اســـتحقاق نفـــوذ الْحُكْم فليس إلا لمن له الخلق والأَمْر، فإنما النافذ حكم المالك عَلَى مملوكه ولا مالك إلا الخالق فلا حكم ولا آمر إلا له، أَمَّا النَّبِيّ والسلطان والسَيِّد والأب والزوج فإذا أمروا وأوجبوا لم يجب شَيْء بإيجابهم، بـــل بإيجـــاب الله تَعَالى كان للموجب عَلَيْه أن تغلب عَلَيْه الإيجاب إذ ليس أحدهما أولى من الآخر، فإذن الواجب طاعة الله تَعَالى- وطاعة من أوجب الله طاعته »[٣٧].

قَالَ أبو زهرة: « وهذا التعريف يومئ لا محالة إلى أن الْحَاكِم في الفقه الْإِسْلَامِيّ هُوَ الله ، إذ إنّ هَذِهِ الشَّـــرِيعَة قانون ديني يرجع في أصله إلى وحي السماء ، فالْحَاكِم فيه هُوَ الله وكل طرائق التعريف بالأحكام فيه إنما هـــي مناهج لمعرفة حكم الله تَعَالى وأحكام دينه السماوي-عَلَى هذا اتفق جمهور الْمُسْلِمِين بل أجمع الْمُسْلِمُون... فإن الإجماع قَدْ انعقد عَلَى أن الْحَاكِم في الْإِسْلَام هُوَ الله تَعَالى،وأَنَّهُ لا شرع إلا من الله و قَدْ صرح بذلك القـــرآن الكريـــم فَقَالَ تَعَالى:(إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ)[٣٨] وقَالَ تَعَالى: (وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ)[٣٩] »[٤٠].

« ومتى تقرر أن الألوهيَّة لله وحده بهذه الشَّهادَة -لا إله إلا الله-تقرر بها أن الحاكيمة في حياة البشر لله وحـــده والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى يتولى الْحَاكِمِيَّة في حياة البشر عن طريق تصريف أمرهم بمشيئته وقدره من جانب، وعـــن

---

(٣٤) الأنعام / ٥٧.

(٣٥) الكهف / ٢٦.

(٣٦) النور / ٥١.

(٣٧) الغَزَالي، حجة الإسلام: المستصفى (٨/١ و ٨٣).

(٣٨) الأنعام / ٥٧.

(٣٩) المائدة / ٤٩.

(٤٠) أبو زهر، الشيخ محمد: أصول الفقه ن ص(٦٣).

طريق تنظيم أوضاعهم وحياتهم وحقوقهم وواجباتهم، وعلاقاتهم وارتباطاتهم بشريعته ومنهجه من جانب آخـــر، وفي النِّظَام الْإِسْلَامِيّ لا يشارك الله سُبْحَانَهُ أحد لا في مشيئته وقدره، ولا في منهجه وشريعته... وإلا فهو الشِّرْك أو الكفر، وبناء عَلَى هَذِهِ القاعدة لا يمكن أن يقوم البشر بوضع أنظمة الْحُكْم وشرائعه وقوانينه مـــن عنـــد أنفسهم لأن هذا معناه رفض أُلوهيّة الله وادعاء خصائص الألوهية في الوقت ذاته...وهذا هُوَ الكفر الصراح»[٤١].

وفي هَذِهِ القاعدة الأصيلة يختلف نِظَام الْحُكْم الْإِسْلَامِيّ في أساسه عـــن كـــل الأنظمـــة البشـــرية والْقَـــوانِين الوضعية[٤٢]حَيْثُ تكون الْسِّيَادَة في الْحُكْم الْإِسْلَامِيّ للشرع والسلطان للأُمَّة، بينما النِّظَام الـــديمقراطي تكـــون الْسِّيَادَة للأُمَّة،والأُمَّة مصدر السلطات، ذلك أن أوروبا كان يحكمها ملوك، و كَانَتْ تتحكم فيها نظرية الحـــق الإلهي،وهي أن للملكِ حقاً إلهياً عَلَى الشعب، فالملك بيده الْتَشْرِيع والسلطات والقضاء، والشعب هُوَ رعية الملك فلا حق له،لا في الْتَشْرِيع ولا في الْسُّلْطَة ، ولا في القضاء، و النَّاس بنظر الملك عبيد لا رأي لَهُمْ ولا إرادة ،وإنما عَلَيْهِمْ التنفيذ والطاعة، وقَدْ استبد هؤلاء الملوك بالشعوب أيما استبداد،فضجّ النَّاس في كـــل مكـــان وقامـــت الثورات،وبهذه الأثناء برزت نظريات متعددة من الْمُفَكِّرين للقضاء عَلَى فكرة الحق الإلهي وكـــان مـــن أهمهـــا نظريتان « الْسِّيَادَة للأُمَّة والأُمَّة مصدر السلطات »[٤٣].

أَمَّا نظرية الْسِّيَادَة فَقَدْ قَالُوا : « إنّ الفرد يملك الإرادة ويملك التنفيذ، فإذا سلبت إرادته وصار تسييرُها بيد غيره كان عبداً، وإذا سيَّرَ إرادته بنفسه كان سَيِّداً، والشعب يجب أن يسير إرادته بنفسه لأَنَّهُ ليس عبداً للملك بل هُوَ حر، وما دام الشعب هُوَ السَيِّد ولا سيادة لأحد عَلَيْه، فهو الَّذِي يملك الْتَشْرِيع والتنفيذ.

وشبّت نيران التَحْرِير في أوروبا وأزيل الملوك وزال معهم الحق الإلهي ووضعت نظرية «الْسِّيَادَة للأُمَّة» موضـــع التطبيق، وصار الشعب هُوَ الَّذِي يشرع من خلال ما يُسمى بالمجالس النيابية.

والْسِّيَادَة تعني تسيير الإرادة وتنفيذها إلا أن الشعب إذا استطاع أن يباشر الْسِّيَادَة بإيجاد وكلاء عنـــه لمباشـــرة الْتَشْرِيع، فإنه لا يستطيع أن يباشر الْسُّلْطَة بنفسه ولذلك لا بدّ أن ينيب عنه من يباشر الْسُّلْطَة، فأوكل أمر التنفيذ

---

(٤١) قطب، سَيِّد: العَدالَة الاجْتِمَاعِيَّة في الإسلام ، ص(١٠٤).

(٤٢) انظر حول هذا الموضوع: آل الشيخ، محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف (١٣٨٩هـــ) تحكيم الْقَوانِين ومعه رسالة للشيخ، ابن باز في وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه.

(٤٣) انظر حول هَذِهِ المسألة:

- النبهان، محمد فاروق: نظام الحكم في الإسلام، ص(٢٩).
- الزين، سميح عاطف: لمن الحكم؟ لله أم للإنسان–للشرع أم للعقل، ص(١٧٤).

لغير الشعب عَلَى أن يقوم الشعب بإنابته عنه، فوجدت من ذلك نظرية: الأُمَّة مصدر السلطات أي أَنَّهَا هي الَّتِي تنيب عَنْهَا من يتولى الْسُّلْطَة منها، أي من يتولى التنفيذ والفرق بين الْسِّيَادَة والْسُّلْطَة، هُوَ أن الْسِّـيَادَة تشـمل الإرادة والتنفيذ بخلاف الْسُّلْطَة ، فإنها خاصة بالتنفيذ ولا تشمل الإرادة. وهذا الواقع للأُمَّة فِي الغَرْب يخالف واقع الأُمَّة الْإِسْلَامِيَّة.

هناك شـبـهـة قَدْ يشوش بها الْعَلْمَانِيُّون ، وهي أن بَعْض الدساتير الْعَلْمَانيّة تنص عَلَـى أن الشـريعة الْإِسْلَامِيَّة هي المصدر الرئيسي للتشريع..ونحن نقول فِي الـرد عَلَـى هَـذِهِ الشـبهة:إننا لا نحكـم إلا بِمَـا نـعـلـم،ولا نجزم إلا بِمَا نرى فالمحاكم عامة لا تزال ملـزمة قانوناً بتطبيق الْقَوانِين الوضعية،ولا يزال القضاة فِي هَذِهِ المحاكم غير قادرين بأي حـال مـن الأحـوال عَلَى تطبيق الشريعة الْإِسْلَامِيَّة، اللهم الا بَعْض قوانين الأحوال الْشَّخْصِيَّة كالزواج والطلاق.

الْعَلْمَانيّةُ والْدَّعْوَة الى الْدَّوْلَة الْمَدَنِيَّةِ

الْدَّعْوَة الى الْدَّوْلَة الْمَدَنيَّةِ أو الْدِّيمُقْراطِيَّة بمرجعيَّةٍ إسْلَامِيَّة: إنَّ «الْدَّوْلَة الْمَدَنيَّة» هي مرادف «للدولة الْعَلْمَانيّة»، أي الْدَّوْلَة المنفصلة عن الدِّين، والَّتِي لا يشكّل الْدِّين أساسًا لها، وتُقصي الْدِّين عن الْسِّيَاسَة والْتَشْرِيع والْحَياةالْعَامَّة وذلك – فيما يزعمون –أَنَّهَا البلسمُ الشَّافي لما هُوَ موجود في المجتمع من تعدد ثقافيٍّ وسياسيٍّ وعرقيٍّ ودينيٍّ ولحماية الأقليات في كل الدول، أي إننا من أجل حفظ حريات الأقليَّات غير الْمُسْلِمَة نعطِّلُ شرعَ ربِّ الْعَالَمين.

وقَدْ نشأ هذا المصطلحُ في الْفِكْر الأوروبيِّ في عصر النهضة عَلَى يد فلاسفة التنوير في مواجهة ما عُرف «بالْدَّوْلَة الْدِّينِيَّة»الَّتِي يزعم فيها الْحَاكِم أَنَّهُ يستمدُّ سلطانه من الله، بناءً عَلَى ما يُعرَف بنظرية «التفويض الإلهي»، فكَانَتْ الْدَّعْوَةإلى «الْدَّوْلَة الْمَدَنيَّة» مقابل «الْدَّوْلَة الْدِّينِيَّة».

ونتيجة لتأثُّر بَعْض المنتسبين للإسلام بفلاسفة الغرب ظهرتْ الْدَّعْوَة إلى الْدَّوْلَة الْمَدَنيَّة، ومِن أوَّل من تولّى كِبْر هَذِهِ الْدَّعْوَة عليّ عبد الرازق في كتابه (الْإِسْلَام وأصول الْحُكْم)الَّذِي دعا فيه صراحةً إلى هدم نِظَام الْإِسْلَام العتيق، وإلى بناء قواعد الملك ونِظَام الْحُكْم عَلَى أحدث ما أنتجت العقول البشريَّة، ويعني بهم الغرب! وفي ظلِّ الظروف الَّتِي يمرُّ بها عالمنا العربي والْإِسْلَامِيّ، خصوصًا بعد أحداث ما عُرف بالربيع العربي ظهر مصطلح (الْدَّوْلَة الْمَدَنيَّة)، والْدَّعْوَة إلى تبنيها،خصوصًا من العلمانيّين والعقلانيين ومَن لفَّ لفّهم، وتأثّر بهم من الحركات الْإِسْلَامِيَّة ؛ نظرًا لما اتّسم به هذا المصطلح من الغموض، كونه مصطلحًا محتملًا، وأَنَّهُ قَدْ يُساق من خلاله المشروع العَلماني المخالِف للمشروع الْإِسْلَامِيّ، ولأَنَّهُ لا يصطدم مع الْعَقِيدَة والشريعة اصطدامًا ظاهرًا كما هُوَ الحال في الْعَلْمَانيّة مثلًا. ومن ثمَّ فان ّالغربَ يرضى عن أربابه .ومن هنا كَانَتْ الْدَّعْوَة لــ "الْدَّوْلَة الْمَدَنِيَّة" هي ذاتها الْدَّعْوَة للعَلمانيَّة ولكن باسم جديد "تجديداً للعَلمانيَّة. "

والحقيقة أنَّ كلا المصطلحين «الْدَّوْلَة الْدِّينِيَّة» و«الْدَّوْلَة الْمَدَنيَّة» لا يجوز أخذهما ولا اعتمادهما للتعبير عن الْدَّوْلَة في الْإِسْلَام، وهي الْدَّوْلَة الَّتِي أقامها الرسولُ عَلَيْه السلام واستمر فيها الْمُسْلِمُون بعده مئات السنين.فهي ليست«دولة دينيَّة» بالمعني الاصطلاحي المعاصر،لأن الْحَاكِم لا يستمدُ فيها سلطانه من الله، وإنما يستمدُه من الأُمَّة، ولأَنَّهَا ليست دولة رجال الْدِّين، إذ لا وجود لرجال الدِّين في الْإِسْلَام فَالْدَّوْلَة الْإِسْلَامِيَّة كيانٌ سياسيٌّ يقوم عَلَى أساس الْعَقِيدَة الْإِسْلَامِيَّة، وتَرعى شؤونَ النَّاس بالشريعة الْإِسْلَامِيَّة. والْحَاكِم فيها (الخليفة) يستمد سلطانه من الأُمَّة من طريق البيعة،ولا يتمتعُ بأيِّ تفويض إلهي ولا بأيِّ حصانة من المحاسبة والعقاب.

ومما يُثبت أن «الْدَّوْلَة المدَنِيَّة» تعني الْدَّوْلَة الْعَلْمَانيّة الاستخدامات المعاصرة الشائعة لتعبير «المدنيّ». ألا ترى أنَّ القضاءَ المدنيَّ هُوَ مقابل القضاء الْشَّرْعِيّ،أي قضاء يحكم بالْقَوانِين الوضعية بدل الشريعة الْإِسْلَامِيَّة؟ والزواج المدنيُّ هُوَ مقابل الزواج الْشَّرْعِيّ؟ والْقَانون المدنيُّ هُوَ مقابل الْشَّرَائِع السماوية؟ والتربيةُالْمَدَنِيَّة هي مقابل التربيةالْدِّينِيَّة؟ والمراجع الْمَدَنِيَّة هي مقابل المراجع الْدِّينِيَّة؟ وعَلَيْه فإن«الْدَّوْلَة الْمَدَنِيَّة» هي الْدَّوْلَة الَّتِي تطبق تشريعات وضعية شُرعت وجُعلت أنظمة وقوانين للدولة من خلال موافقة الْسُّلْطَة الْتَشْريعيَّة (مجلس النواب أو البرلمان) عليها.

وقَدْ يَقُول قائل: « إِنَّهُ يمكن للسُّلْطَة الْتَشْريعيَّة في الْدَّوْلَة أن تصوِّت بالموافقة عَلَى قوانين مستمدّة من الشَّرِيعَة الْإِسْلَامِيَّة فتصبح الْدَّوْلَة بهذا الإجراء إِسْلَامِيَّة»، وهذا خطأ فادح،لأنَّ هذا الإجراء لا يجعلها دولة إِسْلَامِيَّة، لسببين اثنين :

أولهما: إن هَذِهِ التشريعات لم تكتسبْ شرعيتها بوصفها أوامر ونواهي من الله تَعَالى يجب الإذعان لها بناء عَلَى الإيمان بالْعَقِيدَة الْإِسْلَامِيَّة،وإنما استمدّت شرعيتها من ناحية أن الْسُّلْطَة الْتَشْريعيَّة المنتخبة هي الَّتِي أقرها، أي باعتبارها تشريعًا من البشر لا من الله تَعَالى.كما أنَّ بإمكان المجلس الَّذِي أقر هَذِهِ الْقَوانِين أو الَّذِي يأتي بعده أنْ ينقضَها ويبدِّلَها في أيِّ وقتٍ بتشريعاتٍ أخرى غيرها.

وهذا ما يجعل الْسِّيَادَة للشعب ممثَّلاً بمجلس النواب بدل أن تكون الْسِّيَادَة العليا للشرع،وبالتالي فإن هذا يَكُونُ تحاكمًا إلى الطاغوت لا إلى الشرع. قَالَ تَعَالى:(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا) [٤٤].

ثانيهما: إِنَّهُ كما أُعطيت هَذِهِ الْسُّلْطَة صلاحية أن تستمد بَعْض الْقَوانِين من الشَّرِيعَة الْإِسْلَامِيَّة فكذلك أعطيت صلاحية تشريع قوانين أخرى أو استمدادها من غير الشرع، ما يعني التسوية ما بين شرع الله تَعَالى وما سواه من شرائع البشر، وما يعني أيضًا أن الْدَّوْلَة ستطبق قوانين غير إِسْلَامِيَّة إلى جانب تلك المستمدة من الشَّرِيعَة الْإِسْلَامِيَّة، ويترتّب عَلَى ذلك أن الْدَّوْلَة ليست إِسْلَامِيَّة لأَنَّهَا تحكم بغير ما أنزل الله تَعَالى، قَالَ عز وجلّ: (وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ)[٤٥].

وعَلَيْه فإن الْدَّوْلَة الْمَدَنِيَّة هي دولة عَلمانية،دولة تحكم بغير ما أنزل الله.كما أن من مقتضيات الْدَّوْلَة الْمَدَنِيَّة أن يجري انتخاب رئيس الْدَّوْلَة دون النظر إلى كونه مسلمًا أوغير مسلم،بحَيْثُ يُسمح لغير الْمُسْلِمِين الترشح إلى

---

[٤٤] النساء : ٦٠

[٤٥] المائدة : ٤٩

منصب رئاسة الْدَّوْلَة ويُسمح لمن يشاء من النَّاسِ انتخابهم.وهذا من المحرمات قطعًا، قَالَتَعَالى :(وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا)[٤٦] .

كما تفرض الْدَّوْلَة الْمَدَنِيَّة أن يُتاحَ المجال أمام جميع التيارات الْفِكْرِيَّة والسِّيَاسِيَّة من إِسْلَامِيَّة وعَلمانية أن يَكُونَ لها أحزابها ونشاطها السياسيّ والإعلاميّ وحقها في الترشيح لانتخابات مجلس النواب ورئاسة الْدَّوْلَة. وهذا بالطبع يحرمه الْإِسْلَام، لأن وظيفة الْدَّوْلَة في الْإِسْلَام ليست حماية الحرّيات الْعَامَّة كما هُوَ شأنها في الْنِّظَام الديمقراطي، بل وظيفة الْدَّوْلَة هي تطبيق الْإِسْلَام في سياستها الداخلية وفي سياستها الخارجية.

إِنَّهُ سؤالٌ أخير للذين يَدْعون للدَّولة الْمَدَنِيَّة من الإسلاميين، ما الَّذِي يدعوكم للإصرار عَلَى المطالبة بالْدَّوْلَة الْمَدَنِيَّة تلك؟ وما هي المكاسب الَّتِي تبغونها من وراء دعوتكم تلك؟ ألم تتنازلوا للغرب عن كثير من أحكام الْإِسْلَام حين قبلتُم بالديمقراطيَّة والحريَّة الْغَرْبِيَّة،حين سمحتم للخَمرة أنْ تُشربَ جهاراً وللبارات أن تفتح ليلاً ثُمَّ ردُّوكم عَلَى أعقابكم ؟ ولَمَ الخوفُ من الحديث عن الْدَّوْلَة الْإِسْلَامِيَّة الَّتِي هي دَولة عالميَّة وهي رحمة للعالمين؟ فهي الَّتِي ترعى الشؤون وتحمي الثغور وتوفر الأمن والأمان لرعاياها مسلمين وغير مسلمين، وإن قلتم هَذِهِ هي تلك، فلم تعدلون عن المسمَّى الصحيح للدولةِ الَّتِي يريدها منكم ربُّ الْعَالَمين.إن فكرةَ الْدَّوْلَة الْمَدَنِيَّة ستكون حتماً تجربة فاشلة تُضافُ إلى ما سبقها من تجارب فاشلة قبلها، وسوف تسقطُ حتماً كما سقطتْ من قبل فكرة الاشتراكيَّة وفكرة الْعَلْمَانِيّة وغيرها من الْأَفْكَار المضلَّلة.

---

[٤٦] النساء : ١٤١

الْعَلْمَانيّةُ وافسادُ التَّعليم

إفسادُ التَّعليم وجعله خادمًا لنشر الْفِكْر الْعَلْمَانِيّ، وذلِكَ عن طريق :

أ – بثُّ الْأَفْكَار الْعَلْمَانيّة في ثنايا المواد الدراسية في مختلف مراحل التعليم ،وخاصَّة في مادة علم الاجتماع والفلسفة والتربية الْمَدَنِيَّة.

ب – تقليصُ الفترة الزمنيَّة المتاحة للمادة الْدِّينيَّة إلى حصتين في المرحلة الابتدائيَّة وحصة في المتوسطة والثانويَّة.

جـــ – منعُ تدريس نصوص معينة لأَنَّهَا واضحة صريحة في كشف باطلهم ،نحو نصوص الجهاد والقتال .

د – تحريفُ النصوص الْشَّرْعِيَّة عن طريق تقديم شروح مقتضبة ومبتورة لها ، بحَيْثُ تبدو وكأنها تؤيد الْفِكْر الْعَلْمَانِيّ ، أو عَلَى الأقل أَنَّهَا لا تعارضه ، نحو انَّ الاسْلامَ دينُ الحُرِّيَّة والْدِّيمُقْراطِيَّة والْاشْتِراكِيَّة .

و – جَعْلُ مادة التربية الْإِسْلَامِيَّة مادة هامشيَّة،حَيْثُ يَكُونُ موضعها في آخر اليوم الدراسي،أو تكون حصة يستفيد منها مدرس اللُّغَة الْعَرَبِيَّة ، وهِيَ في الوقت نفسه لا تؤثر في تقديرات الطلاب خاصة في المراحل الثانويَّة .

الْعَلْمَانِيّة ونشر الإباحية والفوضى الْأَخْلاقِيَّة

تسعى الْعَلْمَانِيّة الى نشْر الإباحية والفوضى الْأَخْلاقِيَّة وتهديم بنيان الأسرة باعتبارها النّواة الأولى في البنية الاجْتِمَاعِيَّة ، وتشجيع ذِلِكَ والحضِّ عَلَيْه : وذلِكَ عن طريق :

أ – الْقَوانِين الَّتِي تبيح الرذيلة ولا تعاقب عليها ، وتعتبرُ ممارسةَ الزنا والشُّذوذ بالتراضي من باب الحرِّية الْشَّخْصِيَّة الَّتِي يجب أن تكونَ مكفولة ومصونة .

ب – وسائل الإعلام المختلفة من صُحف ومجلاتٍ وإذاعةٍ وتلفازٍ الَّتِي لا تكِلُّ ولا تملُّ من محاربة الفضيلة ، ونشر الرذيلة بالتلميح مرة ، وبالتصريح مرة أخرى ليلاً ونهارًا .

جـــ – محاربةُ الْحِجَاب وفرضُ السفور والاختلاطِ في المدارس والجامعات والمصالح والمؤسسات والهيَئات .

د– تضعفُ قوامةِ الرجل، فيكونُ الأمرُ والنهيُ بيد الزوجةِ التي لا تُسألُ عما تُفعلُ، أما الزوجُ المحترمُ فالويلُ له إن سألَ، فلا يستطيعُ أن يأمرَ أو ينهى .قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن العزيز في قصة يوسف عليه السلام: "وذلك أن زوجها كان قليل الغيرة أو عديمها وكان يحب امرأته ويطيعها، ولهذا لما اطلع على مراودتها قال : (يُوسُفُ

أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ) [٤٧] فلم يعاقبْها و لم يفرقْ بينها وبين يوسف حتى لا تتمكن من مراودته وأمرَ يوسفَ أن لا يذكر ما جرى لأحد محبة منه لإمرأته ولو كان فيه غيرة لعاقب المرأة" اهـــ .

فهذا الفساد لم يأت من فراغ بل من جهد جهيد وعمل دؤوب من قبل اعداء الامة الاسلامية من أجل تفتيت كيانها والقضاء على عقيدتها وقيمها وأخلاقها . هذا ما يريده منا عُبَّادِ الشهوات، وأربابِ النزوات أما ماذا يريد منا ربنا ؟ (وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً) [٤٨] . ليس بغريب أن يستغلها الأعداءُ الذين قال اللهُ فيهم : (وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ) [٤٩] .

ما الذي يحدثُ في حياتِنا ؟ هذا الابنُ يأكلُ ويشربُ لكنْ كيفَ يغذَّى ثقافياً ؟ إما أن تغذيه أنتَ بالوحيين بالكتاب والسنة، وإما أن يغذَّى بوسائل لا ترضي الله من العَلمانيين ، يغذَّى بكلام وأعمال فنية تتسلل إلى خطوط دفاعه ، فتقوم بتغذيته تغذية آثمة، تغذية فاسدة، تغذية تشير إلى أن هذه الحياة مادية، تغذية تشير إلى أن الشهوة هي الإله المعبود . وتكون النتيجة افعل ما بدا لك.

مَتى يَبلُغ البُنيانُ يَوماً تَمامَه ** إذا كُنت تَبنيهِ وَغَيرك يَهدِمُ

ولو ألفُ بانٍ خلفَهم هادمٌ كفى ** فكيفَ ببانٍ خلفَهُ ألفُ هادمِ

انَّ هذا الإعلامَ الذي غزانا من شتى بقاع الأرض يؤكد نقيصتين خطيرتين العَلمَانيَّة والإباحيَّة، لا تأكيداً نظرياً بل تأكيداً عملياً من خلال السلوك، لو إنساناً شاهد مسلسلاً ورأى أن الزوجة خانت زوجها انتقاماً منه لأنه خانها أليس هذا توجيه خطير جداً ؟ ماذا تفعل فتاة شابة حينما ترى مثل هذا المسلسل، ماذا تفعلُ الفتاةُ والفتى عندما يرى كل منهما مشاهدَ القُبلة والضمِّ والعناقِ بين الأحباب عندما يرى كل منهما المعاشرةَ الزوجيةَ بين زوجين عاريين ؟ فالإعلام يهتمُّ بالصورة والصورة أخطر ما في حياة الصغير.

---

[٤٧] يوسف : ٢٩

[٤٨] النساء : ٢٧

[٤٩] البقرة : ١٠٩

الْعَلْمَانيّةُ والْدَّعْوَة إلى الْقَوْمِيَّة

الْدَّعْوَة إلى الْقَوْمِيَّة هِيَ دعوة تعمل عَلَى تجميع النَّاسِ تحت جامعٍ وهميٍّ من الجنس أو اللُّغَة أو التَّاريخ أو المكان أو المصالح المشتركَة. فالْقَوْمِيَّةُ تُقَدَّمُ على أنها رابطةٌ للمجْتَمعِ تربطُ بين مجموعةٍ من البشر يشْتركُونَ بخصائصَ وصفاتٍ مُشْتركَةٍ. وإذا تَأَمَّلْنا هذه العَناصرَ : اللُّغَة والرُّقْعة الجغرافيَّة والتاريخ المشترك والمصالح المشتركَة... نجدُ أنها نتائجٌ وليستْ سبباً. إنها نتائجٌ توجدٌ عند الناسِ الذين تكُون بينهم رابطة تربُطُهُم، و ليست هذه العناصرُ هي التي تشكِّلُ الرابطةَ. انما هي وحدة أفكارِهم، وخاصة الأفكار الأساسية في الكَون والانسانِ والحياةِ . وعلى جادَّة المثال: كانت قبيلةُ قريش قُبيل بعثةِ النبيِّ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تشكِّلُ المجتمعَ المكيَّ. وكانت هي ومن والاها من القبائلِ العربيَّة ذات لُغةٍ وتاريخٍ ورقعةٍ جغرافيةٍ وعرقيَّةٍ عصبيةٍ ومصالحَ مشتركةٍ واحدةٍ. فجاء الْإِسْلَامُ و لم يتعرضْ إلى لغتهِم ولا تاريخهِم ولا عِرقيتهِم ولا جُغرافيتهِم ولا مَصالحِهِم ، و إنما تعرَّضَ لشيءٍ واحدٍ، هو أفكارهم بدءاً بالعقيدةِ الأساس، مروراً بالعَقائدِ الفرعيَّة وصولاً إلى سُلوكهم وقيمهم ومقاييسهم ومعاملاتهم. وهو ما أدَّى الى وقوع الافتراق والانشقاقِ في المجتمعِ المكيِّ حيث تحولَّ الى فريقين الى مؤمنٍ وكافر دارت بينهما الحروب .

لماذا حصلَ الانشقاقُ، مع أنَّ كلَّ العناصر التي يزعمون أنها تشكلُ الخصائصَ والصفات التي توجدُ الرابطة موجودة ، ما عدا عنصر الوحدة الفكرية ؟ ثم بعد فتح مكَّة ودخول قريش إلى الْإِسْلَام عادت الوحدة الفكريَّة إلى المجتمع المكيِّ، ولكنْ هذه المرة على أساس الْإِسْلَام ومفاهيم الْإِسْلَام . وهذا المثال الواضحُ يرينا أن الذي يوجد الرابطة والوحدة والاندماج والانسجام هو وحدة الأفكار. وكلما ازدادت نسبة الأفكار المتفق عليها في المجتمع قويت الرابطة واشتدت أواصرها، وكلما ازدادت نسبة الأفكار المختلف عليها تشقق المجتمع وتفكك. ولا نظن أن شخصا عاقلا نزيهاً يماري في هذا الرأي.فرسالةُ الْإِسْلَامِ رسالةٌ عالميةٌ وليست للعرب وحدهم ، والأمَّةُ تضمُّ المؤمنين من العرب والعجم . فقد كان في نص الوثيقة التي كتبها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فور وصوله إلى المدينة وقيام الدولة الاسلامية الأولى أنَّ (الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ قُرَيْشٍ وَيَثْرِبَ ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ فَلَحِقَ بِهِمْ ، وَجَاهَدَ مَعَهُمْ ، أَنَّهُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ دُونِ النَّاسِ)"[٥٠].ولله در القائل :

[٥٠] أحمد القصص : حكم الاسلام في القومية والوطنية . (كتيب) ..

أخي المسلم في كلِّ مَكانٍ وبلد * * * أنتَ منِّي وأنا مِنكَ كروحٍ في جَسدِ
وحدةٌ قد شادَها اللهُ أضاءتْ للأبد * * * وتسامتْ بشعارِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ

فالرابطةُ بين المسلمين يجب أن تكونَ رابطةَ العقيدة الإسلامية ولا شيء غيرها ، وأنه يحرم على المسلم التفاخر على أساس القوم أو اللون أو الجنس. ومن الآيات الدالة على أن رابطة المسلم هي الإسلام ولا شيء سواه قوله تعالى:(لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ) [٥١].,وقوله تعالى :(وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء) [٥٢]., وقوله تعالى:(قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ). [٥٣] ومن الأحاديث النبوية الشريفة قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمْ الَّذِينَ مَاتُوا إِنَّمَا هُمْ فَحْمُ جَهَنَّم ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنْ الْجُعَلِ[٥٤] الَّذِي يُدَهْدِهُ الْخِرَاءَ بِأَنْفِهِ [٥٥]، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ ، إِنَّمَا هُوَ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ ، النَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ ، وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَاب) [٥٦]، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، أَلاَ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ ، أَلاَ لاَ فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ ، وَلاَ لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ ، وَلاَ لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ ، وَلاَ أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلاَّ بِالتَّقْوَى ، أَبَلَّغْتُ ؟ قَالُوا : بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) [٥٧]. وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(من تعزَّى عليكم بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعِضُّوهُ بِهَنِ أَبِيهِ وَلَا تَكْنُوا) [٥٨] أي أمر انْ يقالَ للداعي بنداء العصبيَّة والمنادي برابطة الْقَوْمِيَّة الْوَطَنِيَّة :اعضض هن أبيك،أي فرجَهُ ولو أن تقولوا : عُضَّ ذكرَ أبيك مما يدلُّ على قبح النداء بهذه الرابطةِ وشدة بغضِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لها. ووجه التصريح بذّكْر أبيه ؛ لأنه خرج من ذكَره ، وهو سبب تّعْزيه وتعصبه فليعضضْ عليه تبكيتاً له وإهانةً جزاءَ فعْلِهِ.

فكلُّ هذه الآيات والأحاديث تدلُّ على أن رابطةَ القوم أو الجنس لكي يسودَ شعب أو جنس على غيره من

---

[٥١] المجادلة : ٢٢

[٥٢] التوبة : ٧١

[٥٣] الممتحنة : ٤

[٥٤] والجُعَل" : حشرة صغيرة سَوْدَاءُ يُقَالُ لَهَا الْخُنْفُسَاءُ.

[٥٥] ومعنى (يُدَهْدِهُ) : أي : يُدَحرِجُه بِأَنْفِهِ. وَ (الخِرَاءُ) : وَهو العذْرَةُ.

[٥٦] رواه الترمذي (٣٨٩٠) ، وحسَّنه الألباني في "صحيح الترمذي.

[٥٧] رواه أحمد (٤٧٤/٣٨) ، وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" (٢٧٠٠).

[٥٨] رواه النسائي وغيره وهو صحيح .

البشر أمر بعيد تماما عن تعاليم الشريعة المطهرة،وذلك للتعارض التام بين دين الإسلام كدعوة للبشر كافة وبين الفكرة الْقَوْمِيَّة الضيقة المحصورة على أفراد الجنس الواحد أو القوم الواحد .ومن العبث أن يحاول أحد التوفيق بين الْقَوْمِيَّة كرابطة وبين الإسلام ،أو أن يصبغ الْقَوْمِيَّة بصبغة إسلامية لكونهما على طرفي نقيض ،فلا يمكن أن يجتمع شرع الله المخاطب به كل البشر والدعوة للْقَوْمِيَّة الفاسدة الداعية لسيادة جنس من الناس على غيرهم بلا حق

.

الْعَلْمَانيّةُ والْدَّعْوَة إلى الْوَطَنِيَّة

فالحقُّ أنَّ الشَّرعَ لم يرد بها وما ورد في المعاجم الْعَرَبِيَّة من معنى للوَطَنِ هُوَ مترل الاقامَة سواءٌ في القريةِ أو المدينةِ الَّتِي يعيش فيها الْانْسَان.فالوطنُ ليس هُوَ إلا محلُّ إقامة الْانْسَان،سواء كَانَتْ إقامة دائمية أو مؤقتة، فمدينةُ طرابلس هي وطنٌ لمن أقام بها ومدينةُ دمشقَ هي وطنٌ لمن أقامَ بها.وكلٌ قلبُهُ متعلقٌ بما استوطنَ به .

الا أنَّ مصطلحَ الْوَطَنِيَّة إنما ظهرَ في المجتمعِ الأوروبيِّ عَلَى أثر تطورات فكريَّة وسياسيَّة هامَّة أدتْ إلى إعادة صياغة المجتمعات الأوروبيَّة .وبإيجازٍ نقولُ إنَّ مفهومَ الوطنِ كونهُ بلداً ترتبط فيه جماعةٌ من النَّاسِ تتفقُ أنْ تلتزمَ بسيادة الوطن وإطاعة الْحَاكِم، وما يتبعه من أجهزة حكومية، إنما ظهر بعد أن سعى سياسيُّون وفلاسفة في كسر شوكة الْكَنِيسَة، والحدِّ من تدخلها في الْحَيَاة الْعَامَّة في المجتمعات الأوروبية، من هنا تنادى المفكرون إلى ضرورة وضع أسس جديدة تربط بين النَّاسِ، لا عَلَى أساس الْدِّين والْمَذْاهِب الْدِّينِيَّة النصرانية الَّتِي أدت إلى سفك الدماء، وإنما عَلَى الولاء للوطنِ، وبناءً عَلَى هَذِهِ النظرية الْعَلْمَانيّة، قام المفكرون والفلاسفة أمثال روسو وجون لوك وفولتير ومونتسيكيو بوضع أسس نظريَّة (العِقْد الاجتماعيّ) وهو عبارة عن عقد بين الْحَاكِم والمحكومين بحَيْثُ تكون للمواطن حقوق قانونيَّة دستوريَّة عَلَى الْحَاكِم أن يحترمَها.

يرى الدكتور محمد محمد حسين رحمه الله، في كتابه الْإِسْلَام والحضارة الْغَرْبِيَّة أنَّ أوَّلَ ما وردت لفظة «الوطن» إنما جاءت من خلال الأزهري المتفرنس رفاعة الطهطاوي الَّذِي أُشرب حبّ فرنسا والحضارة الفرنسية حينما أقام فيها من ١٨٢٦م الى ١٨٣٢م، فلما عاد إلى مصر،عاد يصدح بالحضارة الفرنسية وجمالها، وصار يدندن حول الْوَطَنِيَّة ، ولعله بدأ بداية خجولة، إلا أَنَّهُ في الواقع طرح بذرة الْفِكْرَة الَّتِي جاء غيره من المضبوعين بحضارة الغرب ليكملوا سقيها ورعايتها، ومن هؤلاء بَعْض نصارى الْشَّام الَّذِينَ رأوا خلاصهم من حكم الْإِسْلَام بالعمل عَلَى نشر فكرة الْقَوْمِيَّة والْوَطَنِيَّة. قَالَ العلامة ابن تيمية:(كل ما خرج عن دعوى الْإِسْلَام والقرآن من نسب أو

بلد أو جنس أو مذهب أو طريقة ، فهو من عزاء الْجَاهِلِيَّة، بل لما اختصم مهاجري وأنصاري، فَقَالَ المهاجري:يا لَلمهاجرين، وقَالَ الأنصاري:يا لَلأنصار، قَالَ النبي: أَبِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّة وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟، وغَضِبَ لذلِكَ غضباً شديداً)[٥٩].

ومن خلال أدعياء الْوَطَنِيَّة تم تحريفُ مفهوم الوطن ليُطلقَ الوطنُ في لبنانَ على المساحةِ التي حدَّدها غوروا عام ١٠٢٠ وعلى العرق والأردن وفلسطين وسوريا ومصر التي أوجدتها معاهدات الغربيين ومؤامراتهم.

وبذلك تصبح الْوَطَنِيَّة هي الرابطةُ التي تجمعُ الناسَ الذين يعيشونَ داخلَ حدودِ دولةٍ من هذه الدُّول، و تفصلهم عن سائر الناسِ الَّذينَ هم خارج تلك الحدود.و بذلك يصبحُ اللبنانيُّ مرتبطا فقط باللبنانيِّ و يصبحُ المصريُّ مرتبطا فقط بالمصريِّ، حتى تنقسمَ الأمةُ وتتعددُ همومُها، و لا تعملُ سوياً في سبيل قضيةٍ واحدةٍ هي قضيةُ الأمَّة، فما يهمُّ الفلسْطينيُّ لا يهمُّ اللبنانيَّ .ومن أجل تكريسِ ذلك المفهوم ،بُثَّتْ بين الناس شعاراتٌ مضلِّلةُ خبيثةٌ مثل "الدينُ لله و الوطنُ للجميع" ومثل نحن ننتمي إلى الوطن قبل أن ننتمي إلى الدِّين" وغيرهما من الشعارات التي تتعارضُ مع الاسلام من حيث الأساس.فأينَ الْوَطَنِيَّة من قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى) [٦٠].

الفرْقُ بَيْنَ الوَطَنِ والْوَطَنِيَّة : ولكن العجيب في الأمر ، أنْ تجدَ أُناساً أُشربتْ قلوبُهم بالجهالةِ ينسبون فكرة " الْوَطَنِيَّة " إلى الاسلام ! فيقولون إنَّ الاسلامَ حضَّ على الْوَطَنِيَّة و عزَّز الشعورَ الوطنيَّ لدى المسلمين، مستدلينَ على ذلك بأنَّ الرسولَ قالَ حين خرج من مكة: " أنتِ أحبُّ بلاد الله إليَّ و لولا أنَّ المشركينَ أخرجوني لم أخرجْ منك"، وبأنَّ الاسلامَ أمر بالدفاع عن الأوطان و اعتبر ذلك جهاداً في سبيل الله . ووصل الأَمْر ببعض دُعَاة «الْوَطَنِيَّة» إلى افتراء الأحاديث عَلَى رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم كقولهم: (حبُّ الوطن من الإيمان)[٦١]فهذا ليس بحديث، و لم يقلْهُ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم، ثُمَّ إنَّ حبَّ الوطن شَيْء والْوَطَنِيَّة شَيْء آخر. فحبُّ الوطن شَيْء طبيعي وغريزي لدى الْانْسَان، ذلِكَ أن قلب الْانْسَان يتعلق بالمكان الَّذِي اعتادعَلَيْه وترعرع فيه

---

[٥٩] ابن تيمية : اقتضاء الصراط المستقيم ص:١٧.والحديث رواه البخاري:٤٩٠٥ ومسلم:٢٥٨٤ وعندهما: ما بال دعوى الْجَاهِلِيَّة؟.

[٦٠]صحيح البخاري، برقم: (٦٠١١)، وصحيح مسلم، برقم: (٢٥٨٦)، واللفظ له.

[٦١]قال الشيخ الألباني : معناه غير مستقيم ، إذ إن حب الوطن كحب النَّفْس والمال ونحوه ، كل ذلِكَ غريزي في الإنسان ، لا يمدح بحبه ، ولا هو من لوازم الإيمان ، ألا ترى أن النَّاس كلهم مشتركون في هذا الحب ، لا فرق في ذلِكَ بين مؤمنهم وكافرهم؟أنظر : السلسلة الضعيفة الحديث رقم ٣٦.

وكَانَتْ له معه ذكريات جميلة، فهو يحنُّ إلى البيت الَّذِي ترعرع فيه، ويحبُّ الحيَّ أو القرية أو المدينة الَّتِي نشأ فيها أوسكنها فترة من الزمن، إلا أنَّهذا الحبَّ «الغريزيَّ» لا يتعدى القرية أو المدينة أو المنطقة الَّتِي عاش فيه الْاْنْسَان. ولا ريب ان حبَّنَا وحبَّ الآباء للناصِرةِ وصَفَد وعَكّا وغيرها من مدن وقرى أهل فِلسْطين حبٌّ أودعَه الله في غَرائزنا لأَنَّهَا مَهْدُ الآباء ومَواطن الأَجداد. ولقد ثبت في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم كان يقول في الرقية: «باسم الله، تُرْبَةُ أَرْضِنا، وريقَةُ بَعْضِنا، يَشْفَى سقيمُنا بإذن ربنا»[٦٢] والشفاء في شم المحبوب، ومن ألوان الدواء لقاءُ المحبِّ محبوبَه أو أثرًا من آثاره؛ ألم يُشفَ يعقوبُ ويعود إليه بصره عندما ألقَوْا عليه قميصَ يوسفَ؟! قال الغزالي: والبشر يألَفُون أرضَهم على ما بها، ولو كانت قفرًا مستوحَشًا، وحبُّ الوطن غريزةٌ متأصِّلة في النفوس، تجعل الإنسانَ يستريح إلى البقاء فيه، ويحنُّ إليه إذا غاب عنه، ويدافع عنه إذا هُوجِم، ويَغضب له إذا انتقص. قال الحافظ الذهبي مُعَدِّدًا طائفةً من محبوبات رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم: "وكان يحبُّ عائشةَ، ويحبُّ أَبَاهَا، ويحبُّ أسامةَ، ويحب سبطَيْه، ويحب الحلواء والعسل، ويحب جبل أُحُدٍ، ويحب وطنه."

خرج النبي من بلده مكة المكرمة بعد أن لاقى من المشركين أصنافَ العذاب والأذى ولكن عندما حانتْ ساعةُ الرَّحيل، فاض القلبُ بكلمات الوداع، وسَكبتِ العينُ دموعَ الحبِّ، وعبَّر اللسانُ عن الحزن بقوله:(ما أطيبَك من بلدٍ! وما أحبَّك إليَّ! ولولا أن قومي أخرجوني منك، ما سكنتُ غيرَك)[٦٣]أما المدينة، فهي بلد جديد استوطنه، وشاء الله أن يكون عاصمةَ دولةِ الإسلام الناشئة؛ لذلك كان يدعو الله أن يحبِّبَها إليه؛ كما في "الصحيحين": (اللهم حبِّبْ إلينا المدينةَ كحُبِّنا مكةَ أو أشدَّ) .[٦٤]إنه يدعو الله أن يحبِّب إليه المدينةَ أكثرَ من حبِّه لمكة؛ فحبُّ مكة فطرةٌ؛ لأنها وطنه، أما حبُّ المدينة فمنحةٌ وهِبة وقد استجاب الله دعاءه، فكان يحبُّ المدينة حبًّا عظيمًا، وكان يُسرُّ عندما يرى معالِمَها التي تدلُّ على قرب وصوله إليها؛ فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَأَبْصَرَ دَرَجَاتِ الْمَدِينَةِ أَوْضَعَ نَاقَتَهُ – أي: أسرع بها – وَإِنْ كَانَتْ دَابَّةً حَرَّكَهَا قَالَ أَبُو عَبْد اللَّهِ زَادَ الْحَارِثُ بْنُ عُمَيْرٍ عَنْ حُمَيْدٍ حَرَّكَهَا مِنْ حُبِّهَا)[٦٥] .قال ابن حجر في

[٦٢] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

[٦٣] رَوَاهُ الترمذي

[٦٤] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

[٦٥] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ

الفتح والعيني في عمدة القارئ والمباركفوري في تحفة الأحوذي : (فيه دلاله على فضل المدينة وعلى مشروعية حب الوطن والحنين اليه) . فهذا تصريح من هؤلاء الأئمة رحمهم الله تعالى بمشروعية حب الوطن .
أَمَّا «الْوَطَنِيَّة» الَّتِي يُرَوِّجُ لها مثقفو الحداثة وكتّاب الوسطيَّة، فهِيَ الغُلو في حبِّ الوطن ، هي الَّتِي يريدون لها أن تكون رابطة تجمع سكان الْدَّوْلَة الواحدة وتفصلهم عن سائر إخوانهم في سائر الْعَالَم الْإِسْلَامِيّ،بل تدعوإلى تقديسه وتقديمه على كل انتماء وجعله وثناً وتسخر كل المصالح والمبادئ تحت لوائه، يقول الشيخ محمد الغزالي : (ولكن العصور الحديثة طوَّرت هذا المعنى الساذج وجعلتْ الوطنيةَ ولاءً للتراب وعبادةً له وقياماً بحقوقهِ وتفانياً فيه والعمل به. أي جعلت الوطنَ إلهاً والتعلق به عبادة وضخمتْ المشاعرَ الإنسانيةَحول هذا المحور المسحور بحيث ابتلعت علاقات الناس بدينهم فإذا لم تلفح في إزالتها أفلحت في تأخير رتبتها واخفات الكلام عنها وأمانه إحكامها ووصياها وهذا الضرب من الوثينه ينكره الإسلام أشد الإنكار أن ارتفاق البشر من مكان ما لا يصوع لهم العبادة هذا المكان .. .أما الْوَطَنِيَّة بالمعنى المجتلب من الغرب فهي مستحدث في حضارتنا وتاريخنا لا نقره ولا نرضاه).

الْعَلْمَانيّةُ والْدَّعْوَة إلى الْعُروبَةِ

من المقرَّرِ في قواعِدِ الشَّريعةِ المقرَّرَة في القرآن الكريم أنَّ ميزانَ التفاضلِ والمنافسة بينَ النَّاس هو التقوى والعمَل الصَّالح ، كما قالَ سبحانه وتعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [٦٦] ومن المقرَّرِ أيضا في السنَّة النبويَّة أنَّ العَربَ مفضَّلون على غيرهم من الأجناس ، فقد اختارَ اللهُ سبحانه وتعالى النبي محمداً صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم من العَرب ، وجعلَ القرآنَ عربياً ، واتفقَ أهلُ السنَّة والجماعة على أفضلية العربِ على غيرهم من الأعراقِ والأنساب .
يقول شيخُ الإسلامِ ابن تيميَّة: (إن بني هاشم أفضلُ قريش، وقريشاً أفضلُ العرب، والعربُ أفضل بني آدم) . [٦٧]
وليس بين التقريرين السابقين تعارضٌ : فتفضيلُ العربِ هو تفضيلُ جنسٍ وليس تفضيل أفرادٍ ، فالعَجَميُّ المتقي الصالحُ خيرٌ من العربيِّ المقصِّر في حقِّ الله تعالى. يقول شيخُ الإسلامِ ابن تيميَّة رحمه الله : (تفضيلُ الجملةِ على الجملةِ لا يستلزمُ أن يكونَ كلُّ فردٍ أفضلَ من كلِّ فردٍ ، فإنَّ في غير العرب خَلقاً كثيراً خيراً من أكثر العرب ،

[٦٦] الحجرات : ١٣

[٦٧] ابن تيمية : مجموع الفتاوى" (٢٧: ٤٧٢)

وفي غير قريش من المهاجرين والأنصارِ من هو خيرٌ من أكثر قريش ، وفي غير بني هاشم من قريش وغير قريش من هو خير من أكثر بني هاشم) . [٦٨]

وقالَ شيخُ الإسلامِ ابن تيميَّة: (الذي عليه أهل السنَّة والجماعة اعتقاد أنَّ جنس العرب أفضلُ من جنس العجم : عبرانيهم ، وسريانيهم ، رومهم ، وفرسهم ، وغيرهم . وأنَّ قريشاً أفضلُ العرب ، وأنَّ بني هاشم أفضلُ قريش ، وأنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّم أفضل بني هاشم ، فهو أفضل الخلق نفسا ، وأفضلهم نسباً .وليس فضل العرب ، ثم قريش ، ثم بني هاشم ، بمجرد كون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّم منهم – وإن كان هذا من الفضل – بل هم في أنفسهم أفضل،وبذلك ثبت لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّم أنه أفضلُ نفساً ونسباً ، وإلا لزم الدور) . [٦٩]

والدليل على فضل جنس العرب على وجه العموم لا الخصوص ، عن واثلة بن الأسقع قال سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّم يقول :(إنَّ الله اصْطَفَى كِنَانَةَ من وَلَدِ إسماعيلَ، واصْطَفَى قُرَيْشاً من كِنَانَةَ، واصْطَفَى من قُرَيشٍ بني هَاشِم، واصْطَفَاني من بني هَاشِم) [٧٠]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَال النبي (النَّاسُ تَبَعٌ لقريشٍ في هذا الشَّأن، مُسْلِمهُمْ تَبَع لُمسْلِمِهِمْ، وكَافِرُهم تَبَعٌ لكافِرِهِمْ، والنَّاسُ مَعَادِن، خِيارُهمْ في الجاهلية خِيارهُمْ في الإسلامِ إذا فقهوَا) [٧١]. قال الشيخ مرعي بن يوسُف الحنْبليُّ المَقْدسي في كتاب " مَسْبُوك الذَّهبِ، في فَضْلِ العربِ، وشرف العلم على شرف النَسب " : وبالجملة فالذي عليه أهل السنَّة والجماعة اعتِقاد أنَّ جنس العرب أفضل مِن جنس العجم ... وأنَّ قريشاً أفضلُ العرب ، وأن بني هاشم أفضلُ قريش ، وأنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّم أفضل بني هاشم ؛ فهو أفضل الخلق أجمعين ، وأشْرفهم نَسَبا وحَسَبا ، وعلى ذلك دَرَج السلف والْخَلَف . وبيّن الشيخ مَرعي الحنبلي رحمه الله بعد ذلك مقصود التفضيل ، فقال : إذا عَلِمْتَ هذا ، فاعْلَم أن الذي يُرْجَع إليه ويُعوِّل في الفَضْل عليه هو الــشَّرَف الكَسْبِي الذي منه العِلم والتقوى ، وهو الفضل الحقيقي ، لا مُجرّد الشَّرَف الذاتي الذي هو شَرَف الــنَّسَب ... فَمِن الغُرور الواضِح ، والْحُمْق الفاضِح أن يَفْتَخِرَ أحُدٌ مِن العرب على أحدٍ من العجم بِمُجرّد نَسَبِه ، أو حَسَبِه ، ومَن فَعَل ذلك فإنه مُخطئ جاهِل مغرور ! فَرُبّ حَبَشِيّ

[٦٨] ابن تيمية : مجموع الفتاوى" (١٩/٢٩-٣٠)

[٦٩] ابن تيمية : اقتضاء الصراط المستقيم :(1: 419)

[٧٠] رواه أحمد ومسلم والترمذي من حديث الأوزاعي عن شداد بن عمار عن واثلة بن الأسقع

[٧١] صحيحٌ متفق عليه

أفضل عند الله من أُلوف مِن قُريش . قال الله تعالى في مثل ذلك (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقَاكُمْ) [٧٢].

ونَقَل عن شيخ الإسلام ابن تيمية قوله : وقد رُوِيَتْ في ذلك أحاديث ، الــنُّكْرَة ظاهِرة عليها .ومن أمثلة هذه الأحاديث الضعيفة أو التي لا أصلَ لها : (أُحِبُّ العَرَبَ لِثَلاثٍ لأنِّي عَرَبِيٌّ وَالقُرآنُ عَرَبِيٌّ وَلِسَانُ أَهْلِ الجَنَّةِ عَرَبِي) [٧٣] (أنا عربيٌّ، والقرآنُ عربيٌّ، ولسانُ أهــلِ الجَنَــة عــربي)[٧٤] ("يــا ســلمانُ لا تُبْغِضْــني فَتُفَــارِقَ دِينَــكَ قلتُ يا رسوَل الله، كيف أبْغِضُكَ وبكَ هَدَاني الله؟ قالَ: (تُبْغِضُ العَرَبَ فَتُبْغِضُني)[٧٥] (منْ غش العَرَبَ لم يدخل في شفاعتي، و لم تَنَلْهُ مَوَدَّتي)[٧٦] (أحِبُّوا العَرَبَ وبقاءهم، فإنَّ بقاءهم نــور في الإســلام، وإنَّ فنــاءهم فَنَــاءٌ في الإسلام)[٧٧] (حب قريش إيمان ، وبغضهم كفر ، وحبُّ العَرَب إيمان وبُغْضُهُمْ كفر فَمَنْ أحَبَّ العَرَبَ فَقَد أحَبَّني وَمَن أبْغَضَ العَرَبَ فقد أبْغَضَني)[٧٨] (لا يبغض العَرَبَ إلا منافقٌ)[٧٩] (اذا ذلت العرب ذَل الإسلام)[٨٠] .

وقد كتب كثير من العلماء كتبا خاصة في هذا الموضوع ، كالإمام ابن قتيبة في كتابه " فضل العرب والتنبيه على علومها"، والإمام العراقي في "محجة القرب في فضل العرب"، ونحوه للإمام الهيثمي ، ومن المتأخرين العلامة مرعي بن يوَسُف الحنْبليُّ المَقْدسي في رسالته : "َمسبُوك الذَّهبِ، في فَضْلِ العربِ، وشرف العلم على شرف النَسب"، والشيخ بكر أبو زيد في " خصائص جزيرة العرب "

فلم يمنع الاسلامُ المرءَ من أن يقولَ عن نفسه بأنَّهُ عربيٌّ أو فارسيٌّ أو روميٌّ، أو يمنٌّ أو شاميٌّ، أو قرشيٌّ أو خزرجيٌّ ولكن الذي منع منه الإسلامُ وعملَ على إلغائه هو تلك العصبيَّات الجاهليَّة لتلك القوميَّات والجنسيَّات، ولتلك الأوطان، والقبائل، وغيرها من المسميات والانتماءات التي تغيِّبُ الولاء والبراء في الله. هذه المكانة للعرب في الإسلام لا يجوز أن ننكرَها أو نجحدَها، ولكنْ لا يجوز أن تكون َكذلك مدعاة أو مبرراً للدعوة إلى الْعُرُوبة أو

---

[٧٢] الحجرات : ١٣

[٧٣] موضوع . الضعيفة برقم : ١٦٠

[٧٤] موضوع . الضعيفة برقم : ١٦١

[٧٥] قال الترمذيُ: هذا حديث حَسَن غَرِيبٌ وقال الالباني : ضعيف . الضعيفة برقم : ٢٠٢٩

[٧٦] موضوع . الضعيفة برقم : ٥٤٥

[٧٧] ضعيف . الضعيفة برقم : ٥٧٨

[٧٨] فيض القدير شرح الجامع الصّغير رقم ٣٦٦٦ ص ٣٧٠. ضعيف الجامع الصغير، للألباني، رقم ٢٦٨٤.

[٧٩] ضعيف جدا . الضعيفة برقم : ١١٩٢

[٨٠] موضوع . الضعيفة برقم : ١٦٣

" القومية العربية " التي تقوم على مبدأ فصل الدين عن الدولة والحياة، وعلى تكريس مبدأ عقد الموالاة والمعاداة، وكذلك تقسيم الحقوق والواجبات على أساس الانتماء القومي للجنس العربي بغض النظر عن العقيدة والدين والعمل .. ومبدأ (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ).

كثير من الدعاة والكتاب المعاصرين ــ عن قصد أو غير قصد ــ لا يفرقون بين العرب والعربيِّ والعربيِّة وبين الْعُرُوبة ، ولا بين الوطن والموطن وبين الْوَطَنِيَّة ، ، ولا بين الناس، والإنسان، وكرامة الإنسان وحقوقه وبين الإنسانية كشعار ومبدأ يغيب عقيدة الولاء والبراء في الله .. فيخلطون بينهما عند الحديث عنهما وكأنهما شيء واحد في الدلالة والمعنى، فيخلطون بذلك حقاً مع باطل .. فيَضلون ويُضلون!

تراهم يستدلون بالأدلة الدالة على شرعية مصطلح ومعنى العرب، والعربيِّ ، والعربيِّة على شرعية مصطلح ومعنى الْعُرُوبة الدال على معاني التعصب القومي المقيت والمذموم ..! وتراهم يستدلون بالأدلة الدالة على شرعيَّة مصطلح ومعنى الوطن، والموطن، وحب الديار وموطن المنشأ على شرعية مصطلح ومعنى الْوَطَنِيَّة الدال على العبودية للوطن من جهة عقد الموالاة والمعاداة، وكذلك الحقوق والواجبات على أساس الانتماء لحدود الوطن .. وتغييب وإلغاء كل ولاء وبراء يتعارض مع الولاء الوطني .. كما هو مشاهد في كثير من الأمصار!

إنَّ الْدَّعْوَة إلى الْقَوْمِيَّة أو الْوَطَنِيَّة أو الْعُرُوبة لهِيَ ترويج للفكر الغربيِّ الغريب عن الْإِسْلَام.فعَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم"مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ" وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: "مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ."[٨١]و لَقَدْ نهى النبي صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم عن تعصب المرء لقومه، فَقَالَ:(دَعُوهَا، فَإِنَّهَا مُنْتِنَة)[٨٢]وفي "الصحيح" مرفوعً: (مَنْ خَرَجَ مِنْ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ؛ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً فَقُتِلَ؛ فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي -بسيفه- يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ؛ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ)[٨٣]. وجاء في الحديث: "...ومن دعا دعوى الجاهلية فهو جثاء جهنّم، قال رجل: يا رسول الله وإن صام وصلّى؟ قال: وإن صام وصلّى، ولكن تسمّوا باسم الله الذي سمّاكم المسلمين

[٨١]رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: ٢٦٩٧)، وَمُسْلِمٌ (رقم: ١٧١٨).

[٨٢]رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

[٨٣]رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

المؤمنين"[٨٤].

فما على الأمَّة إلا أنْ توحِّدَ الصفَّ، وأنْ تنبُذَ الفرقَةَ والخلافَ ، وأنْ تحقِّقَ معنى الأُخُوَّة .وأنْ تنفضَ الأمَّةُ هذه النَعَرات وأنْ تُسقطَ الأمَّةُ هذه الراياتِ وأنْ تُعليَ رايةَ الاسْلامِ.وأنْ تحقِّقَ قولَ الله جَلَّ وعلا :(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَة) [٨٥] هذه الأخوَّة هى التى أَلَّفَتْ بين سلمان الفارسيّ ، وصهيب الروميّ ، وأبي ذرٍّ الغفارى، وحمزة القرشيّ ، ومعاذ الأنصاريّ ، وبلال الحبشيّ ، إنها أخوَّةُ الدين – إنها أخوَّةُ العقيدة ، فأخي وإنْ كان فى أقصى الشرق والغرب على الاسْلامِ ، وأخي ابن أمى وأبى لا أعرفه إن كان على غير الاسْلامِ .

أبى الاسلام لا أب لى سواه   إذا افتخروا بقيس أو تميم

فالرابطة التى تربط الأمَّة هى رابطة الأُخُوَّة فى الله .قال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم: (أَوثَقُ عُرَى الإِيمانِ الحُبُّ فِي اللهِ وَالبُغضُ فِي اللهِ) [٨٦] ولو عرفنا معنى هذه الأُخُوَّة لعلمنا لإخواننا فى القدس وفى الشرق وفى الغرب حقوق علينا يجب علينا ألا نتنصل منها وإلا فإن الأمَّة كلها آثمة إن تخلت عن هذه الحقوق وضيعت هذه الواجبات .قال الله جل وعلا : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) [٨٧] وقال صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم:(مَثَلُ الْــمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْــجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْــجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْــحُمَّى) [٨٨] فلا كرامة للأمَّة إلا إذا وحَّدَتْ صَفَّهَا ونزعت هذه الفرقة من قلوبها وحققت معنى الأُخُوَّة الايماني فإن رابطة العقيدة هى أعظم رباط وهى أوثق صلة ، بدونها لا يمكن أبداً أن يحترم العالم كله هذه الأمَّة التي تبعثرت كتبعثر الغنم فى الليلة الشاتية الممطرة .

---

[٨٤] الراوي :أبو مالك الأشعري المحدث :الهيثمي –المصدر :مجمع الزوائد – الصفحة أو الرقم. :5/220 رجاله ثقات رجال الصحيح خلا علي بن إسحاق السلمي وهو ثقة.

([٨٥]) الحجرات : ١٠

([٨٦]) رواه أحمد فى المسند (٢٨٦/٤) وابن أبى شيبة فى كتاب الايمان رقم ١١٠ وحسنه الألبانى فى الصحيحه حديث رقم (١٧٢٨

([٨٧]) الحجرات : ١٠

([٨٨])رواه البخارى (٣٦٦/١٠) فى الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم ، ومسلم رقم (٢٥٨٦) فى البر والصلة ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم

الْعَلْمَانِيّة وتَغْرِيب الْمَرْأَة الْمُسْلِمَة

تَغْرِيب الْمَرْأَة الْمُسْلِمَة من خلال الاساليب التالية :

١-**الْدَّعْوَة الى الاختلاط في الدراسة وفي العمل** ، ومن صور الاختلاط المحرم:

أ-أن يختلط الْرِّجَال بالنِّسَاء فيما يسمى بالجلسات العائلية وتظهر الْمَرْأَة فيها عَلَى أتمِّ زينة .

ب-الاختلاط في دور التعليم وأصبح الأَمْر واضحًا لكل مسلم بأنَّ معظم دور الدراسة والتعليم قَدْ تحولت إلى سباق علني واضح لأرقى الموديلات، وأحدث الأزياء، وأرقى العطور.

ج-الاختلاط في أماكن العمل وهذا ما يغفل عنه كثير من الطيبين والطيبات.الْإِسْلَام لا يحرم عمل الْمَرْأَة إذا اضطرت، وألجأها الضرورة إلى ذلِكَ، لكن بضوابط وشروط وقيود، ونحن في حاجة أن تعمل الْمَرْأَة في مواطن الطبِّ لتطبب النِّسَاء لا الْرِّجَال، وفي حاجة إلى المعلِّمة الْمُسْلِمَة لتعلم البنات لا الأولاد والشبان.فاختلطت الفتاة بالْرِّجَال الأجانب ، ومنهم ذئابٌ جائعة تبحث عن فريسة ضائعة .. يبحثون عمَّن نسيت ربها ، وقلَّ دينها ، ورقَّ يقينها ، وغاض حياؤها ، فألقوا عليها شباكهم ، وأوقعوها في شراكهم ، بعد أن خدعوها بمعسول الكلام ، ووعود أهل الغرام الْحَرام.

إذ أَنَّهُ في معظم البلدان الْعَرَبِيَّة والْإِسْلَامِيَّة ؛ الدراسة فيها دراسة مختلطة ، والأعمال أعمال مختلطة ، ولا يكاد يسلم من ذلِكَ إلا من رحم الله،وهذا هُوَ الَّذِي يريده التغريبيون ، فإنه كلما تلاقى الرجل والْمَرْأَة كلما ثارت الغرائز، وكلما انبعثت الشهوات الكامنة في خفايا النفوس، وكلما وقعت الفواحش لاسيما مع التبرج وكثرة المثيرات وصعوبة الزواج وضعف الْدِّين، وحين يحصل ما يريده الغرب من تحلل الْمَرْأَة، تفسد الأسرة وتتحلل، ومن ثم يقضى عَلَى المجتمع ويخرب من الداخل ، فَيَكُون لقمة سائغة.

لا شك أن الاختلاط في الجامعات والمدارس جد خطير، ومرحلة متقدمة من المرض،ولكن هناك مجالات أخرى لا تقل خطورة، فالاختلاط في المستشفيات بين الأطباء والطبيبات، بين المرضى والممرضات وبَعْض الأعراس والمناسبات الاجْتِمَاعِيَّة ، لَقَدْ قالت كاتبة إنجليزية: إن الاختلاط بين الْرِّجَال و النِّسَاء شَيْء يألفه الْرِّجَال وعَلَى قدر كثرة الاختلاط تكون كثرة أولاد الزنا!!

٢- **الْدَّعْوَة الى التبرج والسفور** : والتبرج أن تظهر الْمَرْأَة زينتها لمن لا يحل لها أن تظهرها له .والسفور : أن تكشفَ عن أجزاء من جسمها مما يحرم عليها كشفه لغير محارمها . كأنْ تكشفَ عن وجهها وساقيها وعضديها

أو بعضها ، وهذا التبرج والسفور فشا في كثير من بِلاد الْمُسْلِمِين ، بل لا يكاد يخلو منها بلد من البلدان الْإِسْلَامِيَّة إلا ما قل وندر.

فللشَّيطان حبائل ، ولأعوانه وسائل !والهدف ؛ أن يحيق بالْمَرْأَة التلف ، فهم ينادون في الْمَرْأَة ويَقُولُون لها : إذا كنت تريدين أن تكسبي الرجل ، وتدركي محبته ، وتثيري إعجابه : فالبسي كذا وكذا ..وأخذوا ينقصون ثيابها من أطرافها، ليخرجوا الزهرة من أكمامها ، واللؤلؤة من أصدافها، فيروها جسداً بلا ثياب ، عارية دون حجاب، ليعبثوا بها، ويتلذذوا بمحاسنها ،حَتَّى يملوها ، ويسأموا منها، فيلقونها تحت أقدامهم ويسحقونها بأرجلهم، ليبحثوا عن غيرها من الفتيات الضائعات اللاتي في حمى الغفلة راتعات....

٣-**الْدَّعْوَة الى متابعة صرعات الغرب المسماة بالموضة والأزياء،** فتجد أن النِّسَاء المسلمات قَدْ أصبحن يقلدن النِّسَاء الغربيات وبكل تقبل وتفاخر.واللباس مظهر مهم من مظاهر تميز الأُمَّة الْمُسْلِمَة والْمَرْأَة الْمُسْلِمَة، لذا حُرِّم التشبه بالكفار،لقول النبي صَلَّى الله عَلَيْهوَسَلَّم: (مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ)[٨٩]وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قَالَ: رأى رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم علي ثوبين معصفرين؛ فَقَالَ:(إن هَذِهِ من ثياب الكفار فلا تلبسها).[٩٠]

قَالَ الشيخ محمد بن عثيمين :(التشبه بالكفار: أن يعمل الْمُسْلِم شيئًا من خصائصهم، أَمَّا ما انتشر بينالْمُسْلِمِين وصار لا يتميز به الكفار؛ فإنه لا يَكُونُ تشبهًا، فلا يَكُونُ حرامًا من أجل أَنَّهُ تشبه، إلا أن يَكُونَ محرمًا من جهة أخرى"؛ مثل الآن: لبس البنطلون للرجال لا نقول هذا تشبه ؛ لأَنَّهُ صار عادة للجميع. [٩١].

٤-**إنشاء الْتَّنْظِيمات والْجَمْعِيَّات والْاتِّحَادَات الْنِسَائِيَّة** ،هَذِهِ الْاتِّحَادَات الْنِسَائِيَّة والتَّنْظِيمات والْجَمْعِيَّات ظاهرها نشر الوعي الثقافي والإصلاح وتعليم الْمَرْأَة المهن كالشَّكِّ والتطريز والخياطة والضرب عَلَى الآلة وغير ذلِكَ ، ولكن قَدْ يَكُونُ باطنها سُمًّا زعافا فتعلم الْمَرْأَة الْأَفْكَار والقيم الْغَرْبِيَّة الخبيثة الَّتِي تنقلها من الْفِكْر الْإِسْلَامِيّ النير المستبصر إلى الْفِكْر المظلم من الغرب الْكَافِر ، ولا ينكر أَنَّهُ يوجد بَعْض الْجَمْعِيَّات الَّتِي تعمل بجد لتحقيق مصلحة الْمَرْأَة عَلَى ضوء الْإِسْلَام الصحيح .

---

[٨٩]أخرجه أحمد (٥٠/٢)، وأبو داود في اللباس، باب: في لبس الشهرة (٤٠٣١)، وعبد بن حميد (٢٦٧/١)، والبيهقي في الشعب (٧٥/٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. قال ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (٣٣١/٢٥): "هذا حديث جيد"، وصححه الألباني في حجاب المرأة المسلمة (ص١٠٤).

[٩٠]رواه مسلم رواه (٢٠٧٧).

[٩١]الشيخ محمد بن عثيمين في مجموع الفتاوى (٢٣٧/١٢).

ومن المؤكد انَّ هَذِهِ الْجَمْعِيَّات والمنظمات الأهليَّة الْنِسَائِيَّة تنال التمويل الأمريكيّ والأوربيّ ، ويستهدف التَّمويل الأجنبيّ للجمعيات الأهلية الْنِسَائِيَّة تسخير هَذِهِ الْجَمْعِيَّات لخدمة أهداف مموليها، لأنَّ هَذِهِ الحكومات لا تمول هَذِهِ الْجَمْعِيَّات لوجه الله تَعَالى، وإنَّما تدعمها لتُسيِّرَهَا وَفقَ خطط وأهداف وضعتها هَذِهِ الحكومات مسخرة القيادات الْنِسَائِيَّة في هَذِهِ الْجَمْعِيَّات لتحقيقها.

وفي سياق الحديث عن التمويل والأجندات الْغَرْبِيَّة: تقول المديرة التنفيذية لمركز شؤون الْمَرْأَة في فلسطين آمال صيام: (أعتقد أن قضية التمويل قضية محسوم الجدل فيها، فكل المؤسسات الفلسطينية مهما كان تصنيفها تعتمد بشكل أو بآخر عَلَى التمويل الخارجي، فبالتأكيد هُوَ ليس في سبيل الله بل من أجل أجندات معينة).

أَمَّا الناشطة السِّيَاسِيَّة والنسوية خالدة جرار فتقول :(يصل الحد ببعض المانحين ليس التدخل فقط في طبيعة المشاريع، إنما بأسماء العاملين عَلَى المشروع، والجهة الوحيدة الَّتِي تعمد إلى ذلك هي الوكالة الأميركية للتنمية)[٩٢].

٥- **تربية البنات الصغيرات عَلَى الرقص والدبكة والموسيقى والغناء** من خلال المدارس والمراكز وغيرها تحت عنوان النشاطات الصيفية الترفيهِيَة ، ثُمَّ إخراجهن في وسائل الإعلام او صفحات المنتديات فتجد فتيات في عمر الزهور يخرجن للرقص والغناء وهن يتمايلن وقَدْ لبسن أجمل حلل الزينة . فإنَّ المعازفَ حرامٌ، لما رواه البخاري في صحيحه عن أبي مالك الأشعري أن النبي صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم قال:(ليكونن أقوام من أمتي يستحلون الحِرَ والحرير والخمر والمعازف) فعلى القائمين عَلَى هَذِهِ الرياض أَنْ يتقوا الله،وأَنْ يمنعوا المعازف والرقص فالدبكة في الأصل من الرقصات الشعبية الْخَاصَّة بالْرِّجَال، والَّتِي لا تتناسب مع الْمَرْأَة وأنوثتها ، فمشيتها وحركاتها حركات رجولية.وقَدْ تكاثرت النصوص الْشَّرْعِيَّة بتحريم مشابهة الْمَرْأَة للرجل .فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا قَالَتْ : (لَعَنَ رَسُولُ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم الرَّجُلَةَ مِنْ النِّسَاءِ)[٩٣]وبالتالي فكل ذلك لا يخلو من مخالطة الذكور لهن .

٦-**الْدَّعْوَة الى الحُبِّ قبل الزواج** : فمن كان يريد العفة يأتي البيوت من أبوابها بهمة ولا يتسلق الجدران بغفلة وغمرة لأن من كان بعيداً عن طاعة الله ذي المنّة لا يؤمن جنبه، ومن لا دين له لا أمانة له بالمرَّة .

فالحذرَ الحذرَ من الاقتران بالعلاقات المحرَّمة قبل القِران والَّتِي تسمى (بالحُبِّ) بل الجُبّ الَّذِي يكمن في أحشائه كل الخبث والمكر والخداع والاحتيال وهذا هُوَ معنى ما يُذكرُ عن عمر بن الخطَّاب من قوله : « لست بالخَبِّ

---

[٩٢] مجلة الوعي : العدد ٢٧٤ ، السنة الرابعة والعشرون ، ذو القعدة ١٤٣٠هـــ ، تشرين الثاني – نوفمبر ٢٠٠٩م .

[٩٣]رواه أبو داود (٤٠٩٩) وصححه الألباني.

ولا الخبُّ يخدعني .[94]والخِبُّ هُوَ: المخادع الغادر . والمعنى : لستُ بالماكر المخادعكما لا يَسمح لغيره أَنْ يغدر به .فلا تغتر الفتاة بتلك الكلمات المعسولة ،والابتسامات الرقيقة من الشاب عند بداية تعرّفه عليها،فهو كالليث مع الحمامة يتودَّدُ.

مكانة الْمَرْأَة في الْإِسْلَام

لَقَدْ رفع الْإِسْلَام مكانة الْمَرْأَة، وأكرمها بِمَا لم يكرمها به دين سواه؛ فالنِّسَاء في الْإِسْلَام شقائق الرِّجَال، وخير النَّاسِ خيرهم لأهله؛ فالْمُسْلِمَة في طفولتها لها حق الرضاع، والرعاية، وإحسان التربية، وهي في ذلك الوقت قرة العين، وثمرة الفؤاد لوالديها وإخوانها .وإذا كبرت فهي المعززة المكرمة، الَّتِي يغار عليها وليها، ويحوطها برعايته، فلا يرضى أَنْ تمتد إليها أيد بسوء، ولا ألسنة بأذى، ولا أعين بخيانة. وإذا تزوجت كان ذلك بكلمة الله، وميثاقه الغليظ؛ فتكون في بيت الزوج بأعز جوار، وأمنع ذمار، وواجب عَلَى زوجها إكرامها،والإحسان إليها، وكف الأذى عَنْهَا. وإذا كَانَتْ أمًّا كان برُّها مقروناً بحق الله تَعَالَى وعقوقها والإساءة إليها مقروناً بالْشِّرْك بالله، وإذا كَانَتْ أختاً فهي الَّتِي أُمر الْمُسْلِم بصلتها، وإكرامها، والغيرة عليها. وإذا كَانَتْ خالة كَانَتْ بمنزلة الأم في البر والصلة. وإذا كَانَتْ جدة، أو كبيرة في السن زادت قيمتها لدى أولادها، وأحفادها، وجميع أقاربها؛ وإذاكَانَتْ بعيدة عن الإنسان لا يدنيها قرابة أو جوار كان له حق الْإِسْلَام العام من كف الأذى ، وغض البصر .

ومن إكرام الْإِسْلَام للمرأة أن لهاحق التملك، والإجارة، والبيع، والشراء، وسائر العقود، ولها حق التعلم، والتعليم، بِمَا لا يخالف دينه.كما أمر الزوج بالإنفاق عليها، وإحسان معاشرتها، والحذر من ظلمها، والإساءة إليها.كما أباح للزوجين أن يفترقا إذا لم يكن بينهما وفاق، ؛ فأباح للزوج طلاقها بعد أن تخفق جميع محاولات الإصلاح، وحين تصبح حياتهما جحيماً لا يطاق . وأباح للزوجة أن تفارق الزوج إذا كان ظالماً لها، سيئاً في معاشرتها، فلها أن تفارقه عَلَى عوض تتفق مع الزوج فيه، فتدفع له شيئاً من المال، أو تصطلح معه عَلَى شَيْءِ معين ثُمَّ تفارقه.كما نهى الزوج أن يضرب زوجته بلا مسوغ، وجعل لها الحق الكامل في أن تشكو حالها إلى أوليائها، أو أن ترفع للحاكم أمرها؛ لأَنَّهَا إنسان مكرم داخل في قوله تَعَالَى:(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ)[95].وقال النبي

---

[94]اشتهر نسبة الأثر لعمر بن الخطاب ، أنظر : "مجموع الفتاوى" (٥/٢٦٥)، "وإعلام الموقعين" (٣/٢٤١)، و"الروح" ص٢٤٤. وقال ابن القيم، في كتاب "الروح": "وكان عمرُ أعقلَ من أن يُخدَع، وأورعَ من أن يَخْدَع."

[95]الاسراء : ٧٠

عَلَيْه الصلاة والسلام : (لا يَجْلِدُ أَحَدُكُمْ امْرَأَتَهُ جَلْدَ الْعَبْدِ ثُمَّ يُجَامِعُهَا فِي آخِرِ الْيَوْمِ)[٩٦]. والَّذِينَ يولعون بالغرب، ويولون وجوههم شطره يوحون إلينا أن نساء الغرب ينعمن بالسعادة العظمى مع أزواجهن ولكن الحقيقة الماثلة للعيان تقول غير ذلك .وعَلَى جادة المثال : [٩٧]

-نشرت مجلة التايم الأمريكية أن ستة ملايين زوجة في أمريكا يتعرضن لحوادث من جانب الزوج كل عام، و أَنَّهُ من ألفين إلى أربعة آلاف امرأة يتعرضن لضرب يؤدي إلى الموت ، وأن رجال الشرطة يقضون ثلث وقتهم للرد عَلَى مكالمات حوادث العنف المنزلي وجاء في كتاب ماذا يريدون من الْمَرْأَة : (ضرب الزوجات في اليابان هُوَ السبب الثاني من أسباب الطلاق) أشارت دراسة كندية اجتماعية إلى أن ربع النِّسَاء هناك -أي أكثر من ثمانيةملايين امرأة- يتعرضن لسوء المعاملة كل عام. في بريطانيا تستقبل شرطة لندن وحدها مائة ألف مكالمة سنوياً من نساء يضربهن أزواجهن عَلَى مدار السنين الخمس عشرة الماضية.مائة ألف ألمانية يضربهن أزواجهن سنوياً ، ومليونا فرنسية .وبعد فإننا في غنى عن ذكر تلك الإحصاءات؛ لعلمنا بأنه ليس بعد الكفر ذنب.

والشَّرِيعَة الْإِسْلَامِيَّة حين جعلت للمرأة حقوقاً وجعلت عليها واجبات وأناطت للرجل حقوقاً وأناطت عَلَيْه واجبات وأمر أن يرضى كل منهما بِمَا خصّه الله به من أحكام ونهاهم عن تمني ما فضّل الله به بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْض، قَالَ تَعَالى : (وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ)[٩٨]

عدالــة القوامة فــي الْحَياة الزوجية : جعل الله عزّ وجلّ الْرِّجَال قوّامين عَلَى النِّسَاء، قَالَ تَعَالى: (الْرِّجَال قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ)[٩٩] إلا أنّ بَعْض المشككين في الشَّرِيعَة الْإِسْلَامِيَّة يَقُولُون: « إنّ هَذِهِ القوامة الَّتِي ميّز الله بها الرَّجُل، وأخضع الْمَرْأَة لها، تنطوي عَلَى إجحاف بحقها كما أَنَّهَا شاهد بيِّن عَلَى غياب الْمُسَاواة المزعومة بين الرَّجُل والْمَرْأَة في أحكام الشَّرِيعَة الْإِسْلَامِيَّة.

أولاً: « القوامة يراد بها الإمارة والإدارة، فمن ينصب أميراً عَلَى مؤسسة أو جماعة تكون الإدارة لشؤونها، والإشراف عَلَى تسيير أمورها» [١٠٠]فالقوامة بهذا المعنى وعَلَى صعيد الأسرة « قوامة رعاية وإدارة وليست قوامة

---

[٩٦] رواه البخاري في النكاح باب ما يكره من ضرب النساء (٥٢٠٤)

[٩٧] العمر، د. ناصر بن سليمان: فتياتنا بين التَغْرِيب والعفاف، ص(٥٤).

[٩٨] النساء / ٣٢.

[٩٩] النساء / ٣٤.

[١٠٠] البوطي: المرأة بين طغيان الْنِّظَام الغَرْبِيّ ولطائف الْتَشْرِيع الرباني ص(٩٨).

هيمنة وتسلط.. ثُمَّ أَنَّهَا ليست عنواناً عَلَى أفضلية ذاتية عند الله عزّ وجلّ يتميز بها الأمير أو المدير، وإنما ينبغي أن تكون عنواناً عَلَى كفاءة يتمتع بها القائم بأعباء هَذِهِ المسؤولية»[١٠١] لهذا يَقُول الله تَعَالى : (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ)[١٠٢] و هَذِهِ الدَرجَةُ هي القوامة . قَدْ يَقُول قائل : لم جعل الله القوامة للرجل و لم يجعلها للمرأة والجواب في النقطة التالية .

ثانياً: قَالَ تَعَالى: (الْرِّجَال قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ)[١٠٣] لما كَانَتْ الأسرة بحاجة الى الانفاق في المال والرعاية التامة من شخص قادر عَلَى التبصر في العواقب والنظر في الأمور وبعقلانية كَانَتْ الأفضلية المصلحية للرجل لذلك كَانَتْ القوامة له في رعاية الاسرة ،ولما كَانَتْ رعاية الطفولة المتمثلة في الحضانة والرضاعة الَّتِي جهزها بجهاز عاطفي دفّاق كَانَتْ الأفضلية المصلحية للمرأة عَلَى الرَّجُل في الرعاية والحضانة .ومن هنا يتقرر بكلمة جامعة وجيزة: « إِنَّهَا أفضلية التناسب المصلحي مع الوظيفة الَّتِي يجب النهوض بأعبائها»[١٠٤].

وفي كتاب يتحدث عن حياة الكاتبة الإنجليزية المشهورة (أجاثا كريستي) ورد فيه قولها: (إن الْمَرْأَة الحديثة مُغَفَّلة لأن مركزها في المجتمع يزداد سوءاً يوماً بعد يوم فنحن النِّسَاء نتصرف تصرفا أحمقا حين نجاري الْرِّجَال في حق العمل ونحن النِّسَاء ندرك أننا الجنس اللطيف الضعيف الَّذِي لا يستطيع أن يجاري الْرِّجَال في الجهد والتعب والعرق) .

عدالة التوزيع في الميراث:ومن إكرام الْإِسْلَام للمرأة أن جعل لها نصيباً من الميراث؛ فللأم نصيب معين، وللزوجة نصيب معين، وللبنت وللأخت ونحوها نصيب عَلَى نحو ما هُوَ مُفَصَّل في مواضعه.

من أبرز الانتقادات التقليدية الَّتِي يطلقها بَعْض المتحاملين عَلَى الْإِسْلَام والمتعصبين عَلَيْه من علماء الغَرْب ومفكريه ومريديه الوقوف عند قوله تَعَالى: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ)[١٠٥] والنظر إليه عَلَى أَنَّهُ وثيقة إدانة لنظام الميراث في الْنِّظَام الاقتصادي في الْإِسْلَام لأَنَّهُ آثر التفريق في الحقوق والواجبات بين الرَّجُل والْمَرْأَة

---

[١٠١] البوطي: المرأة بين طغيان الْنِّظَام الغَرْبيّ ولطائف الْتَشْريع الرباني ص(١٠٠).

[١٠٢] البقرة : ٢٢٨

[١٠٣] النساء/٣٤.

(١٠٤) البوطي: المرأة بين طغيان الْنِّظَام الغَرْبيّ ولطائف الْتَشْريع الرباني، ص(١٠١).

(١٠٥) النساء/ ١١.

١- إذا ترك الميت أولاداً وأباً وأماً ورث كل من أبويه سدس التركة دون تفريق بين ذكورة الأب وأنوثة الأم عملاً بقوله تَعَالى: (وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ)[١٠٦]

٢- إذا تركت الْمَرْأَة المتوفاة زوجها وابنتها فإن ابنتها ترث النصف ويرث والدها الَّذِي هُوَ زوج المتوفاة الربع أي أن الأنثى ترث هنا ضعف ما يرثه الذكر.

ومن خلال هَذِهِ الأمثلة يتبين لنا أن الَّذِي روعي في التقسيم من قبل الْشَّارِع، وضع الوارث ومدى حاجته، ولنفرض أن رجلاً مات، وخلَّف ابناً، وبنتاً، وكان للابن ضعف نصيب أخته، ثُمَّ أخذ كل منهما نصيبه، ثُمَّ تزوج كل منهما؛ فالابن إذا تزوج مطالب بالمهر، والسكن، والنفقة عَلَى زوجته وأولاده طيلة حياته. أَمَّا أخته فسوف تأخذ المهر متزوجها، وليست مطالبة بشيء من نصيبها لتصرفه عَلَى زوجها، أو عَلَى نفقة بيتها أو عَلَى أولادها؛ فيجتمع لها ما ورثته من أبيها، مع مهرها من زوجها، مع أَنَّهَا لا تُطَالب بالنفقة عَلَى نفسها وأولادها.أليس إعطاء الرجل ضعف ما للمرأة هُوَ العدل بعينه إذاً؟

لذا فنصيب الرَّجُل دائماً معرض للنقص بسبب التزاماته الَّتِي فرضها الْإِسْلَام عَلَيْه، أَمَّا نصيب الأنثى فهو دائماً معرض للزيادة من مهر وهدايا، وهي مع ذلك معفاة من أي التزام شرعي في الإنفاق عَلَى زوجها أو بنيها أو أخوتها القادرين عَلَى كسب معاشهم. وهنا تظهر حكمة الله تَعَالى في قسمة الإرث بين عباده.

« وليس الأَمْر في هذا أمر محاباةٍ لجنسٍ عَلَى حساب جنس، إنما الأَمْر أمر توازن وعدل بين أعباء الذكر وأعباء الأنثى في التكوين العائلي وفي النِّظَام الاجتماعي الْإِسْلَامِيّ، ومن ثمّ يبدو العدل كما يبدو التناسق بين الغنم والغرم في هذا التوزيع الحكيم ويبدو كل كلام في هذا التوزيع جهالة من ناحية، وسوء أدب مع الله من ناحية أخرى»[١٠٧].

عدالــة التفاوت في الشَّهادَة : أن الْحُكْم في الشَّهادَة يدور فيه مدى قوّة العلاقة أو ضعفها بين شخص الشاهد رجلاً كان أو امرأة، بين الموضوع الَّذِي تجري بسببه الخصومة.

فإن الْشَّارِع يرفض شهادة الْمَرْأَة عَلَى وصف الجناية وكيفية ارتكاب الجاني لها، ففي الزِّنَا حددّ نصاب الشَّهادَة بأربع رجال وفي بقية الحدود والقصاص حدّد رجلين دون النِّسَاء ذلك لأن تعامل الْمَرْأَة مع الجرائم والجنايات كالقتل، يكاد يَكُونُ من شدّة الندرة معدوماً، وإن وجد فهو إبعاد للمرأة عن مجالات الاحتكاك والاختلاط

---

١٠٦ النساء/ ١١.

(١٠٧) قطب، سَيِّد: في ظلال القرآن، (٥٩١/١).

ومواطن الجرائم والعدوان عَلَى الأنفس والأعراض والأموال، والأرجح أَنَّهَا إن شهدت هَذِهِ الجرائم كثيراً ما تغمض عينيها وتهرب صائحة مولولة فارَّة من هَذِهِ المشكلات بكل ما تملك، غير قادرة عَلَى الوصف بدقة ووضوح لاختلاف فطرتها وتباين طبيعتها عن الرَّجُل ، و قَدْ تقع في غيبوبة قَدْ تفقدها الوعي.

وعَلَى العكس من ذلك، يرى الفقهاء الأخذ بشهادة الْمَرْأَة ولو منفردة في الأمور الَّتِي لا يطلع عليها إلا النِّسَاء، كشهادتها في الرضاع والبكارة والثيوبة والحيض والولادة ونحو ذلك مما يختصّ بمعرفته النِّسَاء، لأن الرسول قبل شهادة امرأة واحدة في الرضاع.

ومن الفقهاء من يرى الأخذ بشهادة النِّسَاء وحدهنّ في الأمور الَّتِي تحدث في جماعة النِّسَاء فحسب ولا يَكُونُ فيها الرِّجَال كجناية حصلت في حمام النِّسَاء أو الأعراس وغير ذلك. فما اعتاد النَّاس أن يجعلوا فيه للنساء أماكن خاصة، فإذا اعتدت إحداهن عَلَى أخرى بقتل أو جرح أو كسر وشهد عليها شهود منهنّ، فهل تُهدر شهادتهنّ لمجرد إنهن إناث؟ أو تطلب شهادة الرِّجَال في مجتمع لا يحضرون فيه عادة. فالأولوية الشَّرْعِيَّة منها لشهادة الْمَرْأَة، إذ هي أكثر اتصالاً بهذه المسائل من الرَّجُل ، بل روي عن الشَّعْبِي أَنَّهُ قَالَ من الشهادات ما لا يجوز فيه إلا شهادة النِّسَاء[١٠٨] فالصَحِيْح أن تعتبر شهادتين ما دمنا عادلات ضابطات واعيات .

و أَمَّا الْمُعَامَلات المالية والشؤون التجارية وما قَدْ ينشأ عَنْهَا من خصومات ودعاوى، فلكل من الرَّجُل والْمَرْأَة علاقة بها غير أن صلة الرَّجُل بها واندماجه فيها أشد من صلة الْمَرْأَة بها وآية ذلك أن الَّذِينَ ينغمسون في الأعمال التجارية وينشطون في إجراء صفقاتها هم الرِّجَال في كلّ الأزمنة وفي مختلف المجتمعات فإن رأيت بينهم نساء فهنّ في الغالب موظفات في أعمال إدارية ومكتبيّة.

ونظراً إلى هذا الواقع الَّذِي يفرض نفسه في كلّ مجتمع فَقَدْ جعل الله حكم الشَّهادَة فيه للرجل مع قبول شهادة الْمَرْأَة، والوجه التطبيقي أن تقوم شهادة امرأتين في هَذِهِ الأمور مقام شهادة الرَّجُل الواحد كما قَالَ تَعَالى: (وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى)[١٠٩]

ولكن لماذا امرأتان؟ إنّ النّص لا يدعنا نحدس، ففي مجال الْتَشْرِيع يَكُونُ كل نص محدداً واضحاً معللاً : (مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ)، (أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى)ومعنى الضلال هنا البعد عن الصواب

---

(١٠٨) انظر: مصنف ابن أبي شيبة ، (٤/٤٢٩).

١٠٩ البقرة / ٢٨٢.

والحق، فَقَدْ ينشأ من النسيان بسبب طبيعة الْمَرْأَة وما يعتريها من مشقة الحمل والولادة والرضاعة والحضانة ومن تغير نفسي وجسدي نتيجة الحيض والاستحاضة والنفاس ومن قلّة خبرة الْمَرْأَة بموضوع التعاقد مما يجعلها لا تستوعب كل وقائعه وملابساته فكان لا بد الاستعانة بامرأة أخرى لتذكرها ،ومن هنا نرى أن أحكام الْإِسْلَام قائمة عَلَى مبدأ العدل في القوامة والشهادة والوراثة لا عَلَى مبدأ الْمُسَاواة[١١٠]، لان الْمُسَاواة ظلم واجحاف بينما ساوى بينهما في الانسانية والعبادات وفي الجزاء والحساب...

حقيقة دعوة الْمَرْأَة إلى الحرِّيَّة والْمُسَاواة

في ختام هَذِهِ القضية، لا بدّ من كلمة حق ترفع الضَّيم عن الْمَرْأَة الْمُسْلِمَة، وتدفع شر المستغربين المعتدين عَلَى الْدِّين والأُمَّة، وتعلن التذكير بِمَا تعبد الله به نساء المؤمنين من أصول الفضيلة المتمثلة في الْحِجَاب وحفظ الحياء والعفّة والاحتشام والتحذير ممّا حرّمه الله تَعَالى ورسوله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم من حرب الفضيلة بالتبرج والسفور والاختلاط، وتفقأُ الحصرم في وجوه خونة الفضيلة، ودُعَاة الرّذيلة، ليقول لسان حال العفيفة:

إليـــك عنّي، إليك عنّـــي فَلَسْتُ منـــك ولَسْتَ منّي

ومعاذ الله أن يَمُرَّ عَلَى السّمع والبصر، إعلان المنكر والمناداةُ به، وهضم المعروف، والصَّد عنـــه، ولا يَكُـــونُ للمصلحين منّا في وجه هذا العدوان صوت جهير بإحسان يَبْلُغُ الحاضر والباد، إقامة لشعيرة الأَمْـــر بـــالمعروف والنّهي عن المنكر، لا سيما ونحن نشاهد كظيظاً من زِحام المعدومين المجهولين من أَهل الريب والفتن، المستغربين المُسَيَّرين بحمل الأقلام المتلاعبة بدين الله وشرعه، يختالون في ثياب الصحافة والإعلام، و قَدْ شـــرحوا بـــالمنكر

---

[١١٠] المساواة نظرية إلحادية، وشعار من الشعارات الَّتِي أطلقتها الماسونية، تضليلاً للناس وفتنة لَهُمْ لتقوم الصراعات بين الأفراد وبين الطبقات مطالبين بتحقيق المساواة المنافية والمصادمة لقانون الحق والعدل. وقد زحف هذا الشعار إلى أدمغة مفكرين وعلماء وكتّاب فجعلوه في مقولاتهم أحد المبادئ الإنسانية الصَحِيْحة وأحد المبادئ الْإِسْلَامِيَّة المجيدة غفلة منهم وانسياقاً مع بريق الشعارات الَّتِي تروجها وسائل الإعلام المضللة. وتحت هذا الشعار الخادع أخذ الجاهلون يطالبون بمساواة النساء مع الرجال في كلّ شيء.

انظر حول هَذِهِ المسألة:

١- حبنكة الميداني، عبد الرحمن حسن: كواشف وزيوف في المذاهب الفِكْرية و المعاصرة، ص(٢٣١).

٢- النَّبَهَانِيّ، تقيّ الدِّين : الْنِّظَام الاجتماعي في الإسلام، ص(٧٧-٧٨-٨٤).

٣- أبو زيد، بكر: حراسة الفضيلة، ص(٢١).

صدراً، فانبسطت ألسنتهم بالسوء وجرت أقلامهم بالسُّوأى وجميعها تلتئم عَلَى معنى واحد: منابـذة التَشْـريع الرباني وطغيان النِّظَام الغَرْبِيّ فيما يتعلق بالْمَرْأَة، من خلال الدَّعْوَة الماكرة والنداءات الخاسرة تحت عنوان « حريّة الْمَرْأَة » و « الْمُسَاواة بين الْمَرْأَة والرَّجُل »أو الجندر(Gender) وتعني (الجنس من حَيْثُ الذكورة والأنوثة) ويهدف إلى إلغاء كافة الفروق بين الرجل والْمَرْأَة والتعامل مع البشر عَلَى أنهم نوع من المخلوقات المتسـاوية في كل شَيْء من الخصائص والمقومات.وهذا كله يتنافى مع شرع الله تَعَالَى .

لَقَدْ كتب أُولَئِكَ المستغربون، الرّماة الغاشّون لأمَّتهم، المشؤومون عَلَى أهليهم، بل عَلَى أنفسهم في كل شؤون الْمَرْأَة الحياتية، إلا في أمومتها وفطرتها، وحراسة فضيلتها.

وفي تفسير ابن جرير الطَّبَري عند قول الله تَعَالَى: (وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا)[111]، قَالَ مجاهـد بـن جبـر رحمـه الله تَعَالَى(وَيُرِيـدُ الَّـذِينَ يَتَّبِعُـونَ الشَّـهَوَاتِ)، قَالَ:الزِّنَاة،(أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا)،قَالَ: يزني أهلالْإِسْلَام كما يزنون، قَالَ:هي كهيئة (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُـدْهِنُونَ)[112][113].

و قَدْسلك أُولَئِكَ الجناة لهذا خطة ضالّة في مجالات الْحَيَاة كافة بلسان الحال والمقَال:

ففي مجال الْحَياة الْعَامَّة:

١. الْدَّعْوَة إلى خلع الْحِجَاب والتخلّص من الجلباب من خلال الترغيب باللباس الفاتن المتمثل في لبس القصـير، والضيّق الواصف للأعضاء والشّفاف الَّذِي يشفُّ عن جسد الْمَرْأَة، والْدَّعْوَة إلى التشبه بالرَّجُـل بالهيئـة في اللباس وشتّان بين امرأة تقص ظفائرها لتكون لجاماً لخيل الله المسرجة، وامرأة تقص ظفائرها لتكـون أشـبه بالغانية.
٢. الْدَّعْوَة إلى الاختلاط في الْحَيَاة الْخَاصَّة والْحَيَاة الْعَامَّة.
٣. الْدَّعْوَة إلى مشاركة الْمَرْأَة في الاجتماعات واللجّان والمؤتمرات والندوات والاحتفالات والنوادي دون ضوابط شرعيّة، بل دعوتها إلى الخضوع بالقول، والملاينة في الكلام، ومصافحة الْرِّجَال الأجانـب عَنْهَـا، وإعمـال المساحيق، والتضمخ بالطيب، ولبس يجعلهن كواعب إلى غير ذلك من وسائل الإغراء والإثارة والفتنة.

---

(111) النساء / ٢٧.

(112) القلم / ٩.

(113) ابن جرير الطَّبَري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، (٨/٢١٤-٢١٥).

٤. الْدَّعْوَة إلى سفر الْمَرْأَة بلا محرم، ومنه سفرها غرباً وشرقاً للتعلّم بلا محرم وسفرها لمؤتمرات: « رجال الأعمال ».

٥. الْدَّعْوَة إلى الخلوة بالأجنبيّة، ومنها خلوة الخاطب بمخطوبته ومصافحته لها، و لم يُعقدْ بينهما عقد القِران .

٦. الْدَّعْوَة إلى قيامها بالفنِّ كالغناء والتمثيل ومشاركتها في اختيار ملكة الجمال.

٧. الْدَّعْوَة إلى فتح أبواب الرياضة للمرأة، كركوب النِّسَاء الخيل للسباق، والدّراجات الناريّة والسباحة في المراكز والنوادي المختلطة.

وفـــي مجـــال الإعـــلام:

١. تصوير الْمَرْأَة في الصحف والمجلات.

٢. خروجها في التلفاز مغنية، وممثلة، وعارضة أزياء ومذيعة وعاشقة. ففي إحدى الدراسات الَّتِي أجريت عَلَـــى خمسمائة فيلم طويل تبين أن موضوع الحب والجريمة والجنس يشكل ٧٢% منها، ويَقُول الدكتور نشار–وهو أمريكي الجنسية– تبين من دراسة مجموعة الأفلام الَّتِي تعرض عَلَى الأطفال، أنّ ٢٩،٦% تتناول موضوعات جنسيّة، و١٥ % تدور حول الحبّ بمعناه الشهواني العصري المكشوف(١١٤).

٣. استخدام الْمَرْأَة في الدعايّة والإعلان. ففي إطار تحليل مضمون (٣٥٦) إعلاناً (تلفازيّاً) في رسالة (ماجستير) تبيّن:

١– استخدمت صورة الْمَرْأَة وصوتها في ٣٠٠ من أصل ٣٥٦ إعلاناً.

٢– ٤٢ % من الإعلانات ظهرت فيها الْمَرْأَة ولا علاقة للمرأة بها، كظهورهـــا بجانـــب إطـــارات السيارات.

٣– ٧٦ % اعتمدت عَلَى مواصفات خاصة في الْمَرْأَة، كالجمال والجاذبيّة.

٤– ٥١ % منها تعتمد عَلَى حركة جسد الْمَرْأَة.

٥– ١٢ % اعتمدت عَلَى ألفاظ جنسيّة.

---

(١١٤) العُمر، د. ناصر بن سلمان: فتياتنا بين التَغْرِيب والعفاف، ص(٣٤)

٤. الْدَّعْوَة إلى الصداقة بين الجنسين. ويَقُول الدكتور هوب أمرولر الأمريكي: إنّ الأفلام التجاريّة تـــثير الرغبـــة الجنسيّة في موضوعاتـــها، كما أنّ المراهقات من الفتيات يتعلمن الآداب الجنسيّة الضارة، و قَدْ ثبت للباحثين، أنّ فنون التقبيل و الحبّ والمغازلة والإثارة الجنسيّة، يتعلمها الشباب من خلال السينما والتلفاز[١١٥].

٥. إشاعة صور القُبُلات والاحتضان بين الرَّجُل وزوجاتهم حَتَّىعَلَى مستوى الزعماء والوزراء في وسائل الإعلام المتنوعة.

فـــي مجـــال التعليــــــم:

١. الْدَّعْوَة إلى التعليم المختلط في الصفوف الدراسية.

٢. الْدَّعْوَة إلى تدريس النِّسَاء للرجال وعكسه.

٣. الْدَّعْوَة إلى تقديم التعليم عَلَى الزواج. ففي إحصائية في جامعة من الجامعات، ستة آلاف فتـــاة لم يتـــزوج إلا أربعمائة فتاة، وفي دراسة لمائة وعشر فتيات تخرجن من كليّة الطّب، لم يتزوج منهن إلا إحدى عشرة طبيبة.

قَدْ كنتُ أرجو أن يُقَال طبيبة لَقَدْ قيل ماذا نالني من مقَالهـــــــا

فقل للتي كَانَتْ ترى في قدوةهي اليوم بين النَّاس يُرثـــى لحالهـــا

وكل مناها بَعْض طفل تضمهفهل ممكن أن تشتريه بِمَا لهـــــا[١١٦].

وفي مجال العمل والتوظيف:

١. الْدَّعْوَة إلى توظيف الْمَرْأَة في مجالات الْحَياة، كافة بلا استثناء، كالْرِّجَال سواء.

٢. الْدَّعْوَة إلى عملها في المتاجر، والفنادق، والطائرات، والوزارات، والغرف التجاريّة، والشركات والمؤسسات، وجعلها مندوبة مبيعات.

٣. الْدَّعْوَة إلى إدخالها في نِظَام الجنديّة والشُّرط.

٤. الْدَّعْوَة إلى إدخالها في المجالات السِّيَاسِيَّة كالمجالس النيابيّة و(البرلمانات).

فهذه مُثُلٌ من دعوات الأخسرين أعمالاً في شأن الْمَرْأَة يبثعها كاتبوها الَّذِينَ يحملون أسماء إسلاميّة، وهـــي معول هدم في الْإِسْلَام، لا يحمله إلاّ مستغرب مُسّيَّر، أشرب قلبه بالهوى، أفمثل هذا الفريق يجوز أن تنصب له منابر الصحافة ووجه الْفِكْر في الأُمَّة؟ و قَدْ ثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ : قَالَ رسول الله:

---

(١١٥) العُمر، د. ناصر بن سلمان: فتياتنا بين التَغْرِيب والعفاف، ص(٣٥).

(١١٦) العُمر، د. ناصر بن سلمان: فتياتنا بين التَغْرِيب والعفاف، ص(٣٨).

« إنَّ اللهَ يبغـــض كُـــلَّ جَعْظَـــرِيٍّ جَوَّاظٍ-أي: مختال متعاظم- سَخَّاب بالأسواق، جِيفَةٍ بالليـــل حِمَـــارٍ بالنَّهارِ، عالـــم بأمر الدّنيا، جاهل بالآخرة »[117].

«حريّة الْمَرْأَة» و «الْمُسَاواة بين الْمَرْأَة والرَّجُل » نظريتان غربيتان باطلتان.

إنّ هَذِهِ المطالب المنحرفة، تُساق باسم: « تَحْرِير الْمَرْأَة » في إطار نظريتين هما: «حريّة الْمَرْأَة» و «الْمُسَاواة بين الْمَرْأَة والرَّجُل ». وهما نظريتان غربيتان باطلتان شرعاً وعقلاً، لا عهد للمسلمين بها، وهما استمرار لجـــادة الأخسرين أعمالاً. والحـــقّ، أنّ النداء بهاتين النظريتين إنما ولدتا عَلَى أرض أوروبا في فرنسا الَّتِي كَانَتْ تـــرى أنّ الْمَرْأَة مصـــدر المعاصـــي، ومكمن السيئات والفجور، فهي جنس نجس حَتَّى ولو كَانَتْ أُمًّا أو أُختاً.

هكذا نشر رهبان أوروبا هذا الموقف المعادي المتوتر من الْمَرْأَة، ممّا جعل ردّة الفعل عند النَّاس هاتين النظريتين، وغيرها من النظريات الَّتِي تفصل الْدِّين عن الْحَياة، فنادوا بأن الْدِّين والْعِلْم لا يتفقـــان، وأنّ العقـــل والْـــدِّين نقيضان، وبالغوا في النداءات للحريّة المتطرفة الراميّة إلى الإباحيّة والتحلل من أي قيد أو ضابط فطري أو ديـــني يَمَس الحرِّيَّة، حَتَّى طغت هَذِهِ المناداة بحريّة الْمَرْأَة، إلى المناداة بمساواتها بالرَّجُل بإلغاء جميع الفوارق بينـــهما وتحطيمها، دينيّة كَانَتْ أم اجتماعيّة.

إنّ المطالبات المنحرفة لتَحْرِير الْمَرْأَة بهذا المفهوم الإلحادي تحت هاتين النظريتين الْمُوَلَّدَتين في الغَرْب،هي العـــدوى الَّتِي نقلها المستغربون إلى الْعَالَم الْإِسْلَامِيّ.

و كَانَتْ أول شرارة قُدحت لضرب الأُمَّة الْإِسْلَامِيَّة عَلَى أرض الكنانة في مصر حين عاد واعظ البعوث: رفاعـــة رافع الطهطاوي، المتوفى سنة (١٢٩٠ هـــ) ، من فرنسا إلى مصر حَيْثُ بذر البذرة الأولى لتَحْرِير الْمَـــرْأَة ثُـــمَّ تتابع عَلَى هذا العمل عدد من المفتونين من الْمُسْلِمِين و غير الْمُسْلِمِين، وممّن تولى كِبَرَ هَذِهِ الفتنـــة داعيّـــة السفور: قاسم أمين الْهَالِك سنة (١٣٢٦هـــ) الَّذِي ألف كتابه «تَحْرِير الْمَرْأَة»، ثُمَّ كتاب « الْمَرْأَة الجديدة » بهدف تحويل الْمُسْلِمَة إلى أوروبيّة، و قَدْ ساهم في تنفيذ فكرته: سعد زغلول الْهَالِك ســـنة (١٣٤٦هـــــــ) وشقيقه أحمد فتحي زغلول[118] الْهَالِك سنة (١٣٣٢هـــ).

---

(١١٧) صَحِيْح ابن حبّان، (٢٧٣/١)، وموارد الظمآن (٤٨٥/١)، وسُنَن البَيْهَقِيّ الكبرى (١٩٤/١٠).

(١١٨) أحمد فتحي زغلول ، (١٨٦٣-١٩١٤م). درس في فرنسا وعمل في النيابة والقضاء حَتَّى صار رئيساً لمحكمة مصر الأهليّة ووكيلاً لوزارة العدليّة من مؤلفاته (شرح الْقَانون المدني المصري) و (المحاماة).

ثُمَّ ظهرت الحركة الْنِسَائِيَّة بالقاهرة بتَحْرِير الْمَرْأَة عام (١٣٣٧هـ) برئاسة هدى شعراوي[١١٩] الْهَالِكة سنة (١٣٦٧هـ) الَّتِي تعتبر أول امرأة مصريّة مسلمة رفعت الْحِجَاب ولكن ليس بيدها، وإنما بيد سعد زغلول حينما عاد من بريطانيا وأثناء استقباله عمد إلى مستقبليه فمدّ يده عَلَى هدى شعراوي وانتزع حجابها عن وجهها، فصفق الجميع ونزعن الْحِجَاب. كما صُفق لزوجته صفيّة هانم سعد زغلول وسط مظاهرة نسائية في القاهرة أمام قصر النيل حين خلعت مع نساء الْحِجَاب، ودُسنه تحت الأقدام، ثُمَّ أشعلن به النار، ولذا سميّ هذا الميدان باسم « ميدان التَحْرِير ».ومنهم مرقس فهمي، الْهَالِك سنة (١٣٧٤هـ)، في كتابة « الْمَرْأَة في الشرق» الَّذِي هدف فيه إلى نزع الْحِجَاب وإباحة الاختلاط. وأحمد لطفي السَيِّد، الْهَالِك سنة (١٣٨٢هـ)، وهو أول من أدخل الفتيات المصريات في الجامعات مختلطات بالطلاب، سافرات الوجوه، لأول مرّة في تاريخ مصر، يناصره في هذا عميد التَغْرِيب: طه حسين، الْهَالِك سنة (١٣٩٣هـ).

وهكذا تتابع أشقياء الكنانة: إحسان عبد القدّوس، ومصطفى أمين، ونجيب محفوظ، وطه حسين، يؤازرهم في هَذِهِ المكيدة للإسلام والْمُسْلِمِين الصحافة، حَيْثُ أصدرت مجلة باسم « مجلة السفور » نحو سنة (١٣١٨هـ) وهرول الكتاب الماجنون بمقَالاتهم القائمة عَلَى المطالبة بِمَا يُسند السفور والفساد من خلال:

نشر صور النِّسَاء الفاضحة، والدمج بين الْمَرْأَة والرَّجُل في الحوار والمناقشة والتركيز عَلَى المقولة الُمحْدَثَة الوافدة: « الْمَرْأَة شريكة الرَّجُل» أي: الْدَّعْوَة إلى الْمُسَاواة بينهما وتسفيه قيام الرَّجُل عَلَى الْمَرْأَة، وإغراؤها بنشر الجديد في الأزياء الخليعة ومحلات (الكوافير)، وبرك السباحة النسائية، والمختلطة، والأنديّة الترفيهيّة، ونشر الحوادث المخلّة بالعرض، وتمجيد الممثلات والْمُغْنيات ورائدات الفن والفنون الجميلة المشهورات، الأحياء منهم والأموات.

هكذا صارت البداية المشؤومة للسفور في هَذِهِ الأُمَّة بنزع الْحِجَاب عن الوجه، وهي مبسوطة موثقة في كتاب « المؤامرة عَلَى الْمَرْأَة الْمُسْلِمَة » للأستاذ أحمد فرج[١٢٠]، وفي كتاب «عودة الْحِجَاب» للشيخ محمد أحمد إسماعيل[١٢١]، وفي كتاب حراسة الفضيلة للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد[١٢٢]، ثُمَّ أخذت تدب في الْعَالَم الْإِسْلَامِيّ في ظرف سنوات قلائل، كالنّار الموقدة في الهشيم حَتَّى صدرت الْقَوانِين الملزمة بالسفور:

---

(١١٩) هدى بنت محمد سلطان الشعرواي ، (١٢٩٦- ١٣٦٧هـ) (١٨٧٩-١٩٤٧م). وُلدت في المنيا بمصر ونشأت في القاهرة، ألّفت جمعة الاتحاد النسائي بمصر وأصدرت مجلة (المصرية). من آثارها (مذكرات).

(١٢٠) فرج، أحمد: المؤامرة على المرأة المسلمة، ص(٧٥).

(١٢١) إسماعيل، الشيخ محمد بن أحمد: عودة الحجاب، (٨٠/١).

(١٢٢) أبو زيد، بكر بن عبد الله: حراسة الفضيلة، ص(١١٩-١٥٢)، وانظر: الجهني: الموسوعة الميسرة، (٤٥٧/١).

ففي تركيا أصدر أتاتورك[١٢٣]الْهَالِك سنة (١٣٥٦هـ) قانوناً ينـزع الْحِجَاب سنة (١٣٣٨هـ)، وفي سنة (١٣٤٨هـ) صدر قانون مدني حرَّم تعدد الزوجات.وفي إيران أصدر رضا بلهوي قانوناً بنـزع الْحِجَاب سنة (١٣٤٤هـ). وفي أفغانستان أصدر محمد أمان قراراً بإلغاء الْحِجَاب، وفي ألبانيا أصدر أحمد زوغوا قانوناً بإلغاء الْحِجَاب ، وفي تونس أصدر أبو رقيبة الْهَالِك سنة (١٤٢١هـ) قانوناً بمنع الْحِجَاب وتحريم تعدد الزوجات، ومن فعل يُعاقب بالسجن سنة مع غرامة ماليّة؟!

كما أصدر قرارات عدوانيّة عَلَى الشَّرِيعَة الْإِسْلَامِيَّة منها: إطلاق الحرِّيَّة للمرأة إذا تخطت العشرين من عمرها أن تتزوج بدون موافقة والديها، ومعاقبة من يتزوج ثانية بالْحَلال، وتبرئ من يخادن عَشْرَاً بالْحَرام!

وفي مجلة العربي نشر استطلاع عن تونس، وفيه صورة للوحات الدعاية المنصوبة في الشوارع ففي كل ميدان لوحتان إحداهما تمثل أسرة ترتدي الزّي المحتشم مشطوبة بإشارة (×) والأخرى تمثل أسرة متفرنجة متبرجة ومكتوب تحتها « كوني مثل هؤلاء ».

ولذا قَالَ العلامّة الشاعر العراقي محمد بهجت الأثري المتوفى سنة (١٤١٦هـ) رحمه الله تَعَالَى:

أبو رقيبة لا امتدّتْ لَه رَقَبَةْ لم يتقِ الله يوماً لا ولا رَقَبَهْ

وفي العراق تولى كِبْرَ هَذِهِ القضية الزهاوي والرُّصافي، كما هُوَ مفصل في كتاب «حكايات سياسية من تاريخ العراق الحديث »[١٢٤].

وفي بِلادالْشَّام (لبنان وسوريا والأردن وفلسطين)، انتشر السفور عَلَى أيدي دُعَاة الأحزاب القوميّة، كما أشار لتلك البدايّة الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله تَعَالَى في كتابه الذكريات[١٢٥].

وأول كتاب تَحَدَّثَ عن تَحْرِير الْمَرْأَة في الْشَّام سنة (١٣٤٧هـ)-أي بعد وفاة قاسم أمين[١٢٦] بعشرين سنة- هو الكتاب الَّذِي يحمل اسم نظيرة زين الدين، بعنوان «السفور والْحِجَاب»، ومما يثير الانتباه أنّ الَّذِي قرظه

---

[١٢٣] مصطفى كمال أتاتورك (١٨٨٠-١٩٣٨م) مؤسس تركيا الحديثة، ولد بسالونيك، إلتحق بالكليّة الحربية شارك في الحرب العالمية الأولى في الدردنيل أقام جمهورية تركيا عام ١٩٢٣م، وانتخب رئيساً لها، ألغى الخلافة (١٩٢٤م)، وفَصْل الْدَّوْلَة عن الدين ، واستبدل بالحروف الْعَرَبِيَّة الحروف اللاتنية، كما ألغى العمامة والحجاب، وجعل الْقَانون المدني يقوم على أصول التشريعات الأوروبية بدلاً من الشَّرِيعَة الْإِسْلَامِيَّة . انظر: الموسوعة الْعَرَبِيَّة الميسرة، ص(٤٤) بتصرف.

[١٢٤] وانظر : أبو زيد ، بكر بن عبد الله: حراسة الفضيلة، ص(١٣٠).

[١٢٥] الطنطاوي، الشيخ علي، الذكريات (٥/١٠١-١١٢)، (٥/٢٢٣-٢٧٤)، (٦/١٠-٢٥).

(١٢٦) قاسم أمين ، (١٨٦٣-١٩٠٨م). وُلد في مصر ودرس فيها وأكمل دراسة الْقَانون في مونتليه بفرنسا، من دعاة تحرير المرأة، أشتهر أنّه زعيم الحركة النسائية بمصر ومحرر المرأة المسلمة.

هُوَ الشيخ علي عبد الرازق[١٢٧] صاحـــــب كتاب «الْإِسْلَام وأصول الْحُكْم» الكتاب الَّذِي فجّر الْعَلْمَانيّة في مصر.

وفي الهند وباكستان في حدود عام (١٣٧٠ هـ) بدأت حركة تَحْرِير الْمَـرْأَة والمنـاداة بجناحيهـا: الحرِّيَّـة والْمُسَاواة، وترجم لذلك كتاب قاسم أمين: « تَحْرِير الْمَرْأَة » حَتَّى أضحى حال القارّة من الحال ما لا يُشكى إلاّ إلى الله تَعَالى مِنْهُ، وهو مبسوط في كتاب « أثر الْفِكْر الغَرْبيّ في انحراف المجتمع الْمُسْلِم في شبه القارة الهنديّة » لخادم حسين[١٢٨].

فهؤلاء الْمُنازِلونَ في ساحة الغَرْب، وليس لَهُمْ من عُدَّةٍ فيه سوى « القلم والدّواة »: هم الصّحفية المتعالمون، من كلّ من يدّعي الْعِلْم وليس بعالم شخصيّة مؤذية، وفتنة مهلكة.

شعوذة تخطر في حجليـــن[١٢٩]وفتنـــة تمشـــي عَلَى رجلين[١٣٠]

ومن مواقع الأسى أن يمضي وقتٌ والمستغرب المتعالم محل إعجاب من الْعَامَّة، فأضحى لزاماً أن نُقارض مجاهرتهم هَذِهِ بالمجاهرة، لكن بالحقّ لكبت باطلهم إسقاط تنمُّرهم والعمل عَلَى هدايتهم واستصلاحهم.

ومن وراء ذلك كلّه خبث اليهود في إفساد وتَغْرِيب أمتنا حَيْثُ يَقُول اليهود في بروتوكولات حكماء صهيون: « علينا أن نكسب الْمَرْأَة، ففي أي يوم مدّت إلينا يدها ربحنا القضيّة». وقَالَ أحد قادة الماسونيّة: « كأس وغانيّة تفعلان في تحطيم الأُمَّة المحمديّة أكثر ممّا يفعله ألف مدفع، فأغرقوها في حبِّ المادة والشهوات ». ويَقُول آخر: « لا تستقيم حالة الشرق إلا إذا رفعت الفتاة الْحِجَاب عن وجهها وغطّت به القرآن »[١٣١].

([١٢٧]) الشيخ علي عبد الرازق، خرّيج أزهري وقاضي شرعي أصدر كتابه سنة (١٩٢٥م) في ظروفٍ إسلامية حرجة بعد سقوط الخلافة العثمانيّة وخطورته تكمن أنّه استند إلى حُجج ومبررات دينيّة شرعية مستمدّة من الكتاب والسنّة والتاريخ الإسلاميّ لتبرير العَلْمانية ضمن إطار الإيمان الديني ذاته، وليس من منطلق العَلْمانية الخالصة المنافية للدين.

انظر: حسين، د. محمد محمد ، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، (٢/٨٥).

(١٢٨) حسين، خادم: أثر الفِكْر الغَرْبيّ في انحراف المجتمع المسلم في شبه القارة الهنديّة، ص(١٨٢-١٩٥).

([١٢٩]) وتخطر: من خَطَرَ إذا اهتز وتبختر في مشيه. والحِجْلُ: الخلخال والقيد وجمعها أحجال وحُجول. (المعجم الوسيط ،ص، (١٥٨) و (٢٤٣)).

([١٣٠]) أبو زيد ، بكر : التعالم وأثره على الفكر والكتاب، ص(٨).

([١٣١]) العُمر، د. ناصر بن سلمان: فتياتنا بين التغريب والعفاف، ص(٤٨).

واليوم يمشي المتعالمون المستغربون الأجراء عَلَى الخطى نفسها، حَيْثُ يشارك سعاة الفتنة في المؤتمرات الْعَالَمِيّـــة والإقليميّة الَّتِي تركز عَلَى المناداة بالحرِّيَّة والانتفاع كمؤتمر بكين والقاهرة، والمؤتمر الإقليمي للمرأة في الخليج والجزيرة الْعَرَبِيَّة حول قضيّة ما يُسمى بتَحْرِير الْمَرْأَة.

وممّا ينّوه إليه في هذا المقام أنَّ جُلّ الدُعَاة لقضية تَغْرِيب الْمَرْأَة من النِّسَاء اللائي يجمعهن صفتان غالباً:

الأولى: قباحة المنظـــر.

والثانيّة: العنوســــــــة.

وتترأس حاضراً عرش هؤلاء النسوة العجوز الشمطاء نوال السعداوي زعيمة الاتحاد النسائي المصري حالياً الَّتِي آذى العيون منظرها وأرهق البصائر مخبرها ، واستولى عليها وعَلَى أمثالها الاغتلام في الجهالة، وصار عَلَى قلبـــها وأمثالها أقفالٌ ضُلّت مفاتيحها و الَّتِي تقـــــول: « إنّ نجاح تحقيق التنميّة الحقيقية في بِلادنا الْعَرَبِيَّة يحتاج إلى تَحْرِير ثقافي، ويحتاج إلى تَحْرِير النِّسَاء من سيطرة الْرِّجَال بمثل ما يحتاج إلى تَحْرِير البِلاد الْعَرَبِيَّة مـــن ســـيطرة الغَرْب »[١٣٢].

فالدكتورة السعداوي ترفض الْحِجَاب الْإِسْلَامِيّ، حَيْثُ إنّ زوجات النَّبِيّ أنفسهنّ لم يكنّ محجبات، و الَّـــذِينَ ينادون بأن تتحجب الْمَرْأَة لم يفهموا الْمَرْأَة الْمُسْلِمَة و لم يدرسوا أحاديث الرسول و لم يقرءوا القـــرآن قـــراءة صَحِيْحة و لم يطلعوا عَلَى التاريخ ، بل أخذوا أشياء دخيلة عَلَى الْإِسْلَام الحقيقي وعَلَى الحَضَارَة المصرية الْعَرَبِيَّـــة الحقيقة فأنا لي خمسة وعشرون عاماً أدرس الْدِّين الْإِسْلَامِيّ وأقارن... لا توجد آية واحدة تنص عَلَى تحجيـــب الْمَرْأَة وزوجات الرسول لم يكنّ محجبات[١٣٣].

وعَلَى الصعيد نفسه يقرر الكاتب حسين أحمد أمين« أن الْحِجَاب وهم صنعه الفرس والأتـــراك و أَنَّهُ ليس في القرآن نص يحرم سفور الْمَرْأَة أو يعاقب عَلَيْه » وأن « الْرِّجَال يتمسكون بالْحِجَاب ليستبدوا بالْمَرْأَة فينفســـوا عن قهرهم سياسياً واجتماعياً »[١٣٤].

أَمَّا الدكتور زكي نجيب محمود فهو يرى « عودة الْمَرْأَة للحجاب الإسلامة ردّة حضارية للمرأة الْعَرَبِيَّة ، فهو حجاب عَلَى الْفِكْر وليس حجاباً عَلَى الجسد»[١٣٥].

---

(١٣٢) العُمر، د. ناصر بن سلمان: فتياتنا بين التَغْرِيب والعفاف، ص(٥١).

(١٣٣) السعداوي، د. نوال « تحقيق » الأهالي القاهرية ، عدد ١٠٤. ٥/١٠/١٩٨٣م.

(١٣٤) أمين، حسين أحمد: موقف القرآن الكريم في حجاب المرأة ، الأهالي ، ٢٨/١١/١٩٨٤م. القاهرية،

(١٣٥) محمود، زكي نجيب، الأهرام القاهرية، ٩/٤/١٩٨٤.

أَمَّا الدكتور عمارة فهو يرفض تماماً أن تعود الْمَرْأَة مكبلة بالْحِجَاب ويؤكد: « والحق أن جذور هَذِهِ القضية، مرتبط بالتمدن والتحضر والاستنارة أكثر ممّا هُوَ مرتبط بالدين »[١٣٦].

وعن حديثه عن تعدد الزوجات الَّتِي شرعها الله تَعَالى يؤكد أَنَّهَا « نظرية إقطاعيـــة » فيقـــول: «إنّ تعـــدد الزوجات وتتابع الزواج واتخاذ السراري والجواري من سمات عصر الإقطاع والدَّوْلَة الإقطاعية»[١٣٧].

أَمَّا الأستاذة عواطف والي فَقَدْ كشفت سرّاً خطيراً: « فإن التَشْريع الْإِسْلَامِيّ بإباحته تعدد الزوجات كان هُوَ السبب الرئيسي في هزيمة العرب في حرب حزيران سنة ١٩٦٧م »[١٣٨].

فباسم الحرِّيَّة والْمُسَاواة: أُخرجت الْمَرْأَة من البيت تزاحم الرَّجُل في مجالات حياته، وخلع منـــها الْحِجَـــاب، وغمسوها بأسفل دركات الخلاعة، وتمّ القضاء عَلَى رسالتها الحياتية، أمّا وزوجـــة وسكنـــاً لراحـــة الأزواج إلى جعلهـــا سلعة مبتذلة في كفِّ كلِّ لاقطٍ من خائن أو فاجر.

قَالَ شيخ الْإِسْلَام ابن تَيْمِيَّة: « وما يفسده اللسان في الأديان، أضعاف ما تفسده اليد، كما أن ما يصلحه اللسان من الأديان أضعاف ما تصلحه اليد »[١٣٩].

لهذا فإنّ المتعيّن إجراؤه أمام التوجه المنحرف هُوَ كفُّ أقلام الرعاع السُّفُوريين عن الكتابة في هَذِهِ المطالب من أولي الأَمْر، كما المتعين عَلَى العلماء وطلاب الْعِلْم بذل النّصح والتحذيـــر من قَالَة الســـوء، وتثبيـــت نســـاء المؤمنين عَلَى الفضيلة وحراستها من دُعَاة السوء والرذيلـــة.

وعَلَى الآباء والأبناء والأزواج، أن يتقوا الله فيما وُلُّوا من أمر النّسَاء وليعلموا أن فساد النِّسَـــاء ســـببه الأول: ضعف الإيمان وتساهل الْرِّجَال، فمن انزجر وارتدع وآب وأناب فَقَدْ حفظ نفسه في الدنيا والآخرة، و أَمَّا من أحبَّ إشاعة الفاحشة فكمـــا قَـــالَ تَعَالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَـــذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)[١٤٠].

---

[١٣٦] عمارة، د. محمد: الإسلام وقضايا العصر، ص(٩٠).

[١٣٧] عمارة: فجر اليقضة القومية، ص(١١٨).

[١٣٨] ابن تَيْمِيَّة: الصارم المسلول، (٧٣٥/٢).

[١٣٩] والي، عواطف: (تحقيق) روز اليوسف القاهرية، ١٩٨٤/٣/٤م.

[١٤٠] النّور / ١٩.

الْعَلْمَانِيّةُ وتَغْرِيبُ الْفِكْرِ الْإِسْلَامِيّ

التَغْرِيب: هُوَ التنْحية والإقصاء والابعاد وصرف الأُمَّة الْمُسْلِمَة عن دينها . وذلك من خلال الانبهار والإعجاب والتقليد والمحاكاة للثقافة الْغَرْبِيَّة بحَيْثُ يصبح الفرد يَنظر إلى الثَّقَافَة الْغَرْبِيَّة وما تشتمل عَلَيْه من قِيم ونُظم ونظريات وأساليب حياة نظرةَ إعجابٍ وإكبار .كما روي عن أبي سعيد الخدري، أن النبي صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم قال: (لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ.قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ :فَمَنْ؟.[١٤١]

انَّ أكبر الدعاوي الباطلة الَّتِي يثيرها التَغْرِيب هي عالمية الثَّقَافَة، وعالمية الحضارة البشرية، ووحدة الْفِكْر البشري وكلها دعوات مريبة، تتمثل في مفهوم واضح هُوَ "تذويب" الْفِكْر الْإِسْلَامِيّ. فالثَّقَافَة الْإِسْلَامِيَّة، تكون إما عقلية كعلم التوحيد، وإما شرعية كالفقه والتفسير، وإما لغوية كالنحو والبلاغة. فالثَّقَافَة ليست عالمية. وانما الْعِلْم التجريبي عالمي كالكيمياء والفيزياء والرياضيات.والحضارة هي الْفِكْر هي المفاهيم عن الكون والانسان والْحَياة والحضارة الْإِسْلَامِيَّة تتناقض مع الحضارة الْغَرْبِيَّة فالخمر في الْإِسْلَام مفهومه حرام وفي الغرب مفهومه مباح .وأَمَّا الْمَدَنِيَّة فهي اشكال مادية كالطائرة والحاسوب والتلفاز والسيارة والهاتف والتماثيل.ولا مانع من ان نأخذ الْمَدَنِيَّة من اي جهة اذا كَانَتْ لا تصطدم بالشرع. اذاً لا يوجد حضارة ولا ثقافة ولا فكر عالمي انما لكل أُمَّة حضارة وثقافة وفكر .

١–إعطاء أسماء أجنبية للمحال التجارية: فهذا محلٌّ للسيارات يطلق عَلَى نفسه "فؤاد موتورز "! بدلا من أن يَقُول " فؤاد للسيَّارات ". ومؤسسة تعليميَّة تُسميّ نفسها " مودرن أكاديمي " بدلا من " الأكاديمية الحديثة. ومحل أدوات كهربائية اسمه " جمال إليكتريك.اسماء تصدم المتجول بالْشَّارِع وتشعره أَنَّهُ يجول في بيئة غربية .ومما يلحق بهذا الأَمْر الكتابة الاجنبية للاسماء في المنتديات الْعَرَبِيَّة .وكذلك اسماء المواليد وخاصة الاناث الَّتِي تبتعد عن اي معنى لها في اللُّغَة الْعَرَبِيَّة .

---

[١٤١] أخرجه البخاري في «الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة»: (٧٣٢٠)، ومسلم في «العلم»: (٦٩٥٢)، وأحمد: (١٢١٢٠)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

٢–وفي أسلوب الحوار، تجدهم يحاولون إقحام كلمة باللُّغَة الإنجليزية أثناء الحديث، حَتَّى يبدو المتكلم وكأنه " مثقف "!! وهذا فصل محزن من فصول تهاون بَعْض أبنائنا بلغتهم الأصيلة ومفرداتها الراقية فاستبدلوا ألفاظا أعجمية في مخاطباتهم اليومية وأحاديثهم الجانبية يرددونها غير واعين بِمَا تكرسه فيهم من التبعية العمياء حَتَّى طمَّت هَذِهِ الألفاظ وعمَّت بين أهل لغة القرآن . فلا يخلو الحديث من كلمات مثل " أوكيه " يردِّدها وقلبُه يطرب ، ويَقُول (يس) مترنما بجوابه ، وب(نو) يردد القول بها اذ لا يرغب ، واذا استقبل ورحَّب نطق " هاي "واذا ودَّع لاك بفيه " باي باي " واذا هاتف بدأ " آلو " واذا استيقظ قال : " صباح الخير " ... الخ. وفي ذلك استبدال للأدنى بخير كلام لغتنا بل هجران للغتنا وتقليل من شأنها، خاصة مع وجود البدائل لكل تلك الكلمات والعبارات في ديننا وفي ثقافتنا. ونحن لا ننكر التحدث بلغة الأعاجم ولا ننكر تعلُّمَها وتعليمَها ولكنْ ننكرُ تغريبَ كلامنا.

إن ما ذكرته لكم لم يأْتِ عفواً، و لم يأْتِ بين عشيَّة وضحاها، إنه مخططٌ تتقاصر عنده مخططات الحروب وميادين القتال. إنه إفسادٌ وتَغْريب لأمتنا، و هَذِهِ هي الأدلة والبراهين، لا العواطف والتخمين.

يَقُول اليهود في بروتوكولات حكماء صهيون: "علينا أن نكسبَ الْمَرْأَة، ففي أي يوم مدَّتْ إلينا يدَها ربحنا القضية".

ويَقُول يهودي آخر: "لا تستقيمُ حالة الشرق –أي لَهُمْ- إلا إذا رفعَتْ الفتاةُ الْحِجَاب عن وجهها وغطتْ به القرآن الكريم.

وقال أحدُ قادة الماسونيَّة: "كأسٌ وغانيةٌ تفعلان في تحطيم الأُمَّة المحمديِّة أكثر مما يفعله ألف مدفع، فأغرقوها في حبِّ المادة والشهوات".

"كما أكد الحاخام اليهودي مردخادي فرومار للمستمعين في أحد المعابد اليهودية : انَّ انهاء الصراع الصهيوني مع الْإِسْلَام لايتم الا بعَلمنة المجتمع الْإِسْلَامِيّ حَيْثُ يتم القضاءُ عَلَى أُسس وتعاليم وتاريخ الْإِسْلَام من خلال نشر فنون الجنس والاباحية ونشر ثقافة الدعارة في أوساط الْمُسْلِمِين عبر الانترنيت ومن خلال ترويج الأفلام الجنسية ودفع العاهرات الى المجتمعات الْإِسْلَامِيَّة وشحذ حماسة الْمَرْأَة الْمُسْلِمَة نحو تجميل نفسها وارتداء أقل الملابس ، وأن نضعَ في ذهن كل مسلمة أن انجابَ أكثر من طفل أو طفلين يُذهب جمالها .

كيف تعْرِفُ الْعَلْمَانِيّ ؟

الْعَلْمَانيُّون هم منافقو هذا العصر، و لَهُمْ علامات ذكرها الله عنهم في كتابه ، و لَهُمْ أفكار يطرحونها في الساحة ، و لَهُمْ معتقدات يريدون بها هدم الْدِّين ، وهم من أخطر أعداء الْإِسْلَام في هذا العصر.وآيةُ الْعَلْمَانيّة وعَلامَتُها في المرء عشراتٌ من الصفاتِ ، ومَنْ وُجِدَ فيه صفةٌ منها وُجِدَتْ فيه صفةٌ من الْعَلْمَانِيّة الخبيثة والرذيلة .

الْعَلْمَانِيّ:قَدْ ينكر وجود الله. وقَدْ يؤمن بوجود الله لكنه يعتقد بعدم وجود أية علاقة بين الله وبين حياة الْانْسَان.

الْعَلْمَانِيّ:يعتبر القيم الروحية الَّتِي تنادي بها الأديان والَّتِي تنص عَلَى ادراك صلة الشيء بالخالق والقيم الْأَخْلاقِيَّة بأنواعها هِيَ قيم سلبية.

الْعَلْمَانِيّ:يدعو الى الْدِّيمُقْراطِيَّة الَّتِي هي حكم الشَّعب للشَّعب ويروِّج لها كنظامٍ بديل عن الْإِسْلَام ، ويُلَبِّسُ عَلَى المؤمنين أن الْدِّيمُقْراطِيَّة هي الشُّورى في الْإِسْلَام .

الْعَلْمَانِيّ:يدعو الى الحريات الْغَرْبِيَّة الأربع ،حُرِّيَّة التدين وحُرِّيَّة الرأي وحُرِّيَّة التملك والحُرِّيَّة الْشَّخْصِيَّة .

الْعَلْمَانِيّ:يطالب بالإباحيَّة والسفور ، والاختلاط بين الجنسين في الأماكن الْعَامَّة والْخَاصَّة (أي الخلوة) ويحبذ عدم الترابط الأسري .

الْعَلْمَانِيّ:يطالب ويحبِّذ مُسَاواة الْمَرْأَة بالرجل ويدعو إلى تحررها وسفورها واختلاطها بالْرِّجَال دون تحديد العمل الَّذِي يلائمها ويحفظ كرامتها كَأنثى .

الْعَلْمَانِيّ: يعتقد نشر الإباحيِّة والفوضى الْأَخْلاقِيَّة وهدم كيان الأسرة باعتبارها النواة الأولى في البنية الاجْتِمَاعِيَّة

الْعَلْمَانِيّ: يقوم بالتركيز عَلَى قضية الْمَرْأَة بدعوي أَنَّهَا مظلومة في ظل الْشَّرِيعَةالْإِسْلَامِيَّة.

الْعَلْمَانِيّ:له أسَاليب في تَغْرِيب الْمَرْأَة الْمُسْلِمَة:عقد المؤتمرات الْنِسَائِيَّة أوالمؤتمرات الَّتِي تعالج موضوع الْمَرْأَة وإبتعاثها للخارج وبتوظيف الْرِّجَال والنِّسَاء سواسية والْدَّعْوَة إلى إتباع الموضة والأزياء وإغراق بلاد الْمُسْلِمِين بالألبسة الفاضحة وإنشاء الْتَّنْظِيمات والْجَمْعِيَّات والْاتِّحَادَات الْنِسَائِيَّة والتظاهر بالدفاع عن حقوق الْمَرْأَة وإثارة قضايا تحرر الْمَرْأَة وشن هجوم عنيف عَلَى الْحِجَاب والمتحجبات وتمجيد الفاجرات من الْغَرْبيات والممثلات والراقصات والمغنيات والترويج للفن والمسرح والسينما وتربية البنات الصغيرات عَلَى الرقص والموسيقى والغناء من خلال المدارس والمراكز وغيرها وإشاعة الحدائق والمطاعم المختلطة للعائلات .

الْعَلْمَانِيّ: يقوم عَلَى مبدأ (الميكيافيلية)[١٤٢] في فلسفة الْحُكْم والْسِّيَاسَة والْأخْلاق. وهو مبدأ يقوم عَلَى أن (الغاية تبرر الوسيلة) مهما كَانَتْ هَذِهِ الوسيلة منافية للدين والْأخْلاق، ومهما كَانَتْ حسنة أو سيئة[١٤٣].

الْعَلْمَانِيّ: ينص أَنَّهُ لا تناقض بين الْإِسْلَام والْعَلْمَانِيّة، لأن الْإِسْلَام دين فرد لا دين دولة.

الْعَلْمَانِيّ:يزعم أن التيار الْإِسْلَامِيّ يريد بدعوته الوصول إلى كرسي الْحُكْم فقط وليس الْدَّعْوَة إلى الْإِسْلَام وتطبيق شرع الله. فتراه يهاجم فكرة وصول الاسلاميين للحكم لا فكرة الوسيلة للوصول للحكم فالوسيلة اجتهادية.

الْعَلْمَانِيّ:يطالب بعدم تدخل الْدِّين في الأمور السِّيَاسِيَّة وأَنَّهُ يجب تطبيق الْشَّرائِع والأنظمة الوضعية كالقانون الفرنسي في الْحُكْم . وأن الْدِّين للعبادة فقط دون تدخل في شؤون الخلق وتنظيمها كما أراد الله تَعَالى.

الْعَلْمَانِيّ: يعتقد فصل الْدِّين عن الْسِّيَاسَة وإقامة الْحَياة عَلَى أساس مادي . وإذن فالْعَلْمَانيّة دولة لا تقوم عَلَى الْدِّين، بل هِيَ دولة لا دينية، تعزل الْدِّين عن التأثير في الْدُّنْيا، وتعمل عَلَى قيادة الْدُّنْيا في جميع النواحي السِّيَاسِيَّة والاقْتِصَادِيَّة والاجْتِمَاعِيَّة والْأخْلاقِيَّة والقانونية وغيرها بعيداً عن أوامر الْدِّين ونواهِيَه.

الْعَلْمَانِيّ: يقرُّ بالْسِّيَادَة المطلقة، وحق الْتَشْريع للأُمَّة، فما تحله هُوَ الْحَلال عندهم وإن اجتمعت عَلَى حرمته كافة الْشَّرائِع السماوية وما تحرمه هُوَ الْحَرام وإن اتفق عَلَى حله كل دين من عند الله.

الْعَلْمَانِيّ: ينص عَلَى أن المصادر الرسمية للقانون في ظلالْ عَلْمَانِيّة هِيَ: الْتَشْريع، العرف، ومبادئ الْشَّرِيعَة الْإِسْلَامِيَّة،وقواعد العدالة، ومبادئ الْقَانون الوضعي... والْتَشْريع، والعرف مقدمان في الْحُكْم عند الْعَلْمَانِيّين عَلَى الْشَّرِيعَة الْإِسْلَامِيَّة.

الْعَلْمَانِيّ:يردد دائماً بأن الْانْسَان هُوَ الَّذِي ينبغي أن يستشار في الأمور الدنيوية كلها وليس العلماء ويطالب بأن يَكُونَ العقل البشري صاحب القرار وليس الْدِّين.

الْعَلْمَانِيّ:يصرح باطلاً بأن الْإِسْلَام لا يتلائم مع الحضارة وأَنَّهُ يدعو إلى التخلف لأَنَّهُ لم يقدم للبشرية ما ينفع .

الْعَلْمَانِيّ:تجده يعتقد بأن الْتَشْريع الْإِسْلَامِيّ والفقه وكافة تعاليم الأديان السماوية الأخرى ما هِيَ إلا امتداد لشرائع قديمة أمثال الْقَانون الروماني و أَنَّهَا تعاليم عفى عليها الزمن و أَنَّهَا تناقض الْعِلْم. وأن تعاليم الْدِّين

---

[١٤٢] نسبة إلى ميكافيلي نيقولا (١٤٦٩-١٥٢٧م) إيطالي الجنسية، وهو أول المفكرين السياسيين الأوروبيين، اشتهر بكتابه (الأمير) الَّذِي فيه دعوة صريحة إلى فَصْل السياسة عن الْدِّين والْأخْلاق، ووضع مبدأً عملياً لها وهو (الغاية تبرر الوسيلة).

انظر:كواشف زيوف ص٣٧٩، وموقف الاسْلام من نظرية ماركس ص٦١٢.

[١٤٣] انظر: كواشف زيوف ص٣٨٠، ومذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب ص٤٦٦، والموسوعة الميسرة ص٣٧٠.

وشعائره لا يستفيد منها المجتمع .

الْعَلْمَانِيّ:حين يتحدث عن المتدينين فإنه يمزج حديثه بالسخرية منهم ويطالب بأن يقتصر توظيف خريجي المعاهد والكليات الْدِّينِيَّة عَلَى الوعظ أو المأذونية أو الإمامة أو الأذان وخلافه من أمور الْدِّين فقط .

الْعَلْمَانِيّ:يعترض اعتراضا شديداً عَلَى تطبيق حدود الله في الخارجين عَلَى شرعه كالجلد للزاني أو قطع اليد للسارق أو القتل للقاتل وغيرها من أحكام الله ويعتبرها قسوة لا مبرر لها .

الْعَلْمَانِيّ: يذهب الى أنَّ العقوبات الْشَّرْعِيَّة معطلة في ظل الْعَلْمَانيّة تعطيلاً كاملاً، والْحُكْم بها جريمة تستوجب البطلان والمساءلة.

الْعَلْمَانِيّ:يتمنى تغيير الْقَوانِين الْإِسْلَامِيَّة بقوانين علمانية كالقانون المدني السويسري والْقَانون الجنائي المعمول به في إيطاليا والْقَانون التجاري الألماني والْقَانون الجنائي الفرنسي وهذا الْقَانون يعمل به في بَعْض الدول الْعَرَبِيَّة . ويعتبر أن تلك الْقَوانِين هِيَ الأفيد في حياة الفرد والمجتمع من التنظيم الْإِسْلَامِيّ.

الْعَلْمَانِيّ: ينص عَلَى مدح الْغَرْب وإطرائه ، ودعوة الأُمَّة إلى اللحاق بركبه والتأسي بتجربته في رمي الْدِّين جانباً وعزله عن الْحَياة.

الْعَلْمَانِيّ: ينص عَلَى عدم صلاحية الْشَّرِيعَة لكل زمان ومكَان وأن الْشَّرِيعَة نزلت في وقت معين وظروف معينة ،و أَنَّهَا لابد أن تتطور لتوافق النمط الاجتماعي الجديد ولو كَانَ في هذا تجاوز لإحكام ثابتة غير اجتهادية لأن المصلحة مقدمة عَلَى النص عندهم، وهؤلاء يدّعون أنهم يؤمنون فردياً بالْدِّين وشعائره،وإن كَانَ معظمهم لا يؤديها.

الْعَلْمَانِيّ: يقوم بالسخرية من الفئة الْمُسْلِمَة ونقدها ويتم ذلِكَ عن طريق الرسوم الَّتِي تهزأ من المنتقبات والملتحين ،وكذلِكَ الكتابات الساخرة،والأفلام والمسلسلات التلفزيونية الَّتِي تسخر من مظاهر الْإِسْلَام وتفسير الالتزام بالْدِّين تفسير نفسي منحرف وأن الالتزام بالْدِّين جاء نتيجة ظروف نفسية قاسية وضغوط اجتماعية قاهرة وأن معظم الَّذِينَ يلتزمون بالْدِّين هم من أبناء الفقراء"أراذلنا"،وأن العامل الاقتصادي له دور في الالتزام بالْدِّين .

الْعَلْمَانِيّ: يؤكد أن التحليل الموضوعي للعلاقة ما بين الْإِسْلَام من جهة، وبين العروبة والوطنية والقومية يكشف عن تكامل وتداخل ولا يفصح عن تناقض او خلاف.وأن الحركة القومية الْعَرَبِيَّة حركة سياسية غايتها تَحْرِير الانسان العربي من كافة اشكال التبعية للقوى الاستعمارية والصهيونية وتوحيد المجتمع العربي سياسياً واقتصادياً وثقافياً واجتماعياً.وهذا هراء وترهات لا تستحق الرد .

الْعَلْمَانِيّ: مقياسُه في الولاء والبراء في المناصَرة والعَداء هُوَ القوميَّة الْعَرَبِيَّة أوالعُروبة أوالوطنيَّة الاقليميَّة فمن كان عَديله ومثيله في الوطنيَّة والهوى كان مناصراً له ومؤيداً حَتَّى ولو كان للمسلمين معادياً .

الْعَلْمَانِيّ: قد يصلي ويصُوم ويزكي ويحج البيت الحرام ولكنه يُقِرُّ بنصْرة وتأييد وموالاة غير المؤمنين تحت ستار الْوَطَنِيَّة الاقليمية (فلسطيني ، لبناني...) والْقَوْمِيَّة الْعَرَبِيَّة متناسياً أُخوَّة الْإِسْلَام،بل يركب مركب الطُّغاة والمستبدِّين تحت ستار الْوَطَنِيَّة والْقَوْمِيَّة ضد اخوانه الْمُسْلِمِين المظلومين.وهو يردد الطعنَ والثَّلْبَ بالعُلماء والأئمَّة. فهذا وهؤلاء قومٌ بُهت دنَّسوا وجهَ ما كتبوا عَلَيْه من قِرطاس،ولطَّخوه بعقائدِ الشكِّ والجُحود والوسواس، ألسنةٌ شأنُها الإفك والخطَل، وقلوبٌ أفسدَها سوءُ العمل، يريدونَها فتنةً عمياء، ويبغونها حياةً عوجاء. وعلى جادة المثال :

ما أثير مُؤخراً عبر أكاذيبَ من بعضِ الصحفِ والجرائدِ التي تتلقّف الأخبارَ دون تمحيصٍ وتأكدٍ عما يسمى بـــ"جهاد المناكحة"، حيث يزعمُ الكَذَبة أن المقاتلينَ المسْلمِين قد أجازوا لأنفسِهم ارتكابَ الفاحشة تحت اسم "جهاد المناكحة." فقامَ الْعَلْمَانيونَ في مصرَ وتونس وسوريا ولبنانَ توظيف هذه الكِذْبة في بلدانهم للطعنِ في خصومِهم من الإسلاميين ولإعطاءِ المصْداقية للفكرةِ فإنها بُنِيَتْ على فتوى للداعيةِ الشيخ محمد العريفي إلا أن النفْيَ السريعَ الذى أصدَره الداعيةُ دفعَ المروجين للفتوى إلى نِسبتها إلى مصدرٍ مجهولٍ تعَذرَ إثباته.

الْعَلْمَانِيّ:يُحِبُّ مصر لأنها وَطنُ أجْدَادِهِ الفراعنه ويُحِبُّ لبنان لأنه وَطنُ أجْدَادِهِ الفينيقين ويُحِبُّ فلسطين لأنها وَطنُ أجْدَادِهِ الكنعانيين ويُحِبُّ العراق لأنها وَطنُ أجْدَادِهِ الأشوريين والبابليين ويُحِبُّ سوريا لأنها وَطنُ أجْدَادِهِ السومريين ويُحِبُّ ايران لأنها وَطنُ أجْدَادِهِ الفارسيين ...

الْعَلْمَانِيّ: يستبدل المصطلحات الاسلامية بمصطلحات أخرى ، فإنْ تَحَدَّثَ عن الجهاد سماه النضال ، وإنْ تَحَدَّثَ عن البر والاحسان من المسلم لاهل الكتاب سماه التعايش السلمي وإنْ تَحَدَّثَ عن الزكاة سماها العدالة الاجتماعية وإنْ تَحَدَّثَ عن الغلو والتنطع سماه الارهاب وإنْ تَحَدَّثَ عن الاباحة في الرأي سماها الحرية وإنْ تَحَدَّثَ عن التعاون والتكافل الاجتماعي سماه الاشتراكية وإنْ تَحَدَّثَ عن حرية التملك سماها الرأسمالية ، وإنْ أراد اقصاء الدولة الاسلامية سماها الدولة المدنيَّة وإنْ تَحَدَّثَ عن الرشْوة سماها الاكرامية او البرطيل ، وإنْ تَحَدَّثَ عن الشُّورى سماها الديمقراطيَّة ، وإنْ تَحَدَّثَ عن الوسطيَّة والسماحة والعدل سماهم الاعتدال بالمفهوم الغربيِّ. ويخلط بين العربيَّة والعروبة وبين القوم والقوميَّة وبين حب الوطن والوطنيَّة .

الْعَلْمَانِيّ: يُنكر أن التكفيرَ حكمٌ شرعيٌّ ، فلا يطلقُ التكفيرَ على الفرقِ الخارجةِ عن الاسلام والتي لا تؤدي العبادات والمعاملات كالبهائيَّة والبابيَّة والدروز وغيرها ويطلقُ التكفيرَ على الحركاتِ الاسلامية الجهاديَّة التي اجتهدت في شرع الله واتخذتْ لها منهجا نحن نخالف كثيرا منه ولكن لا نكفر أصحابه .

الْعَلْمَانِيّ: لا يحكِّم شرع الله في الاحداث والوقائع السياسيَّة فتراه ينكرُ قطعَ رأس بحدِّ السيف وقولُه حقٌّ ولا ينكر تدمير المباني على رؤوس قاطنيها من المدنيين ، وينصرُ الظالمَ على المظلوم والقويَّ على المكلوم وفي الباطل.

موقف الْإِسْلَام من الْعَلْمَانِيّة

الْعَلْمَانِيّة من الجانب العقدي تعني التنكر للدين وعدم الإيمان به، وترك العمل بأحكامه، وحدوده، وهذا كفر صريح،وشرك قبيح .والْعَلْمَانِيّة في الجانب التشريعي تعني فصل الْدِّين عن الْدَّوْلَة، أو فصل الْدِّين عن الْحَيَاة كلها، وهذا يعني الْحُكْم بغير ما أنزل الله .والْعَلْمَانِيّة من الجانب الْأَخْلَاقِيِّ تعني: الانفلات والفوضى في إشاعة الفاحشة والرذيلة والشذوذ،والاستهانة بالْدِّين والفضيلة، وسنن الهدى،وهذا ضلال مبين وفساد في الأرض. ومن الْعَلْمَانيّين من يرى أن السنن والآداب الْشَّرْعِيَّة والْأَخْلاق الْإِسْلَامِيَّة إنما هى تقاليد موروثة. وهذا تصور جاهلي منحرف[١٤٤] . يَقُول ابن كثير رحمه اللهعند قوله تَعَالى: (وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ): أي فاحكم يا محمد بين النَّاس: عربهم، وعجمهم، أُمِّيِّهم وكتابِيِّهم بِمَا أنزل الله إليك هذا الكتاب العظيم، وبما قرره لك من حكم من كَانَ قبلك من الأنبياء، و لم ينسخه في شرعك"[١٤٥].واليك تفصيل القضية :

الْعَلْمَانِيّة شرك في التوحيد في جانبي الْرُبُوبِيَّة والألوهِيَة:

فَالْخَلْقُ وَالأمْرُ من أخص خصائص الرُّبُوبيَّة وأجمع صفاتها، كما قال تَعَالى: ﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمين﴾[١٤٦].والأَمْرُ في لغة الْشَّارِع يأتي بمعنيين:

الأول: الأَمْرُ الكوني وهو الَّذِي به يدبر شؤون المخلوقات، وبه يَقُول للشيء كن فَيَكُون، ومنه قولــه تَعَــالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[١٤٧]

---

[١٤٤] انظر: الموجز في الأديان ص١١١.

[١٤٥] تفسير ابن كثير (٧٢/٢).

[١٤٦] الأعراف: ٥٤

[١٤٧] يس: ٨٢

الثاني: الأَمْرُ الشرعي: وهو الَّذِي به يفصل الْحَلال والْحَرام، الأَمْرَ والنهيَ وسائر الْشَّرائِع، ومنه قوله تَعَالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[148] .

وإذا كَانَتْ البشرية لم تعرف في تاريخها من نازع الله في عموم الخلق أو الأَمْر بمفهومه الكوني فَقَدْ حفل تاريخها بمن نازع الله في جانب الأَمْر الْشَّرْعِيّ وادعى مشاركته فيه، فَقَدْ حكي لنا القرآن الكريم عن من قال: ﴿سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللهُ﴾[149]ورأينا في واقعنا المعاصر دُعَاة الْعَلْمَانيّة وهم يَقُولُون: لا سياسة في الْدِّين ولا دين في الْسِّيَاسَة! بل من اجترأ عَلَى ربه وقال: إن الْقَوانِين الوضعية خير من الْشَّرِيعَة الْإِسْلَامِيَّة؛ لأن الأولى تمثل الحضارة والمدنية، والثانية تمثل البداوة والرجعية!!

ولا يتحقق توحيد الْرُبُوبِيَّة إلا بإفراد الله بالخلق والأَمْر بقسميه: الكوني والْشَّرْعِيّ، وإفراده بالأَمْر الْشَّرْعِيّ يقتضي الإقرار له وحده بالْسِّيَادَة العليا و الْتَشْرِيع المطلق، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه، ومن سوغ للناس اتباع شريعة غير شريعته منكرا لها فهو كافر مشرك.

الْعَلْمَانيّة ثورة عَلَى النُّبوة:

يَقُول ابن قيم الجوزية رحمه الله: (و أَمَّا الرضى بنبيه رسولاً: فيتضمن كمال الانقياد له والتسليم المطلق إليه، بحَيْثُ يَكُونُ أولى به من نفسه، فلا يتلقى الهدى إلا من مواقع كلماته، ولا يحاكم إلا إليه، ولا يحكم عَلَيْه غيره، ولا يرضى بحكم غيره البتة، لا في شَيْء من أسماء الرب وصفاته وأفعاله، ولا في شَيْء من أذواق حقائق الإيمان ومقاماته، ولا في شَيْء من أحكام ظاهره وباطنه. لا يرضى في ذلِكَ بحكم غيره، ولا يرضى إلا بحكمه)[150].

قال تَعَالى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[151].قَالَ الجصَّاصُ رحمه الله: "وفي هَذِهِ الآية دلالة عَلَى أن من رد شيئًا من أوامر الله تَعَالى أو أوامر رسوله فهو خارج من الْإِسْلَام، سواء رده من جهة الشك فيه أو من جهة ترك القبول والامتناع من التسليم، وذلِكَ يوجب صحة ما ذهب إليه الصحابة في حكمهم بارتداد من امتنع من أداء الزكاة وقتلهم

---

[148] السجدة: ٢٤

[149] الأنعام: ٩٣

[150] ابن القيم ، مدارج السالكين ٢/ ١٧٢

[151] النساء: ٦٥

وسبى ذراريهم؛ لأن الله تَعَالى حكم بأن من لم يسلم للنبي قضاءه وحكمه فليس من أهل الإيمان"[152].فأين هـذا من ترك الْتَحَاكُم إلى شريعته ابتداء، واتهامها بالبداوة والرجعية؟ أو الجمود وعدم الصلاحية للتطبيق؟

الْعَلْمَانِيّة استحلال للحكم بغير ما أنزل الله:

فَقَدْ اتفقت الأُمَّة عَلَى أن استحلال المحرمات القطعية كفر بالإجماع، لم ينازع في ذلِكَ - فيما نعلم – أحـد، يَقُول شيخ الْإِسْلَام ابن تيمية: "والْانْسَان متى حلل الْحَرَام المجمع عَلَيْه، أو حرم الْحَلال المجمع عَلَيْـه، أو بـدل الشرع المجمع عَلَيْه كان كافرًا ومرتدًّا باتفاق الفقهاء، وفي مثل هذا نزل قول الله تَعَالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرونَ﴾ أي هُوَ المستحل للحكم بغير ما أنزل الله" [153] .

فللاستحلال صورتان:

الأولى: عدم اعتقاد الحرمة، ومرده حينئذ إلى خلل في الإيمان بالْرُبُوبِيَّة والرسالة، يؤدي إلى كفر التكذيب.

الثانية: اعتقاد الحرمة والامتناع عن التزام هذا الْتَحْرِيم، ومرده في هَذِهِ الحالة إما إلى خلل في التصديق بصـفة من صفات الْشَّارِع كالْحكْمة والقدرة، وإما لمجرد التمرد واتباع هوى الْنَّفْس.يَقُول شيخ الْإِسْلَام ابن تيمية:"وبيان هذا أن من فعل المحارم مستحلاً لها فهو كافر بالاتفاق، فإنه ما آمن بالقرآن من استحل محارمه، وكـذلِكَ لـو استحلها من غير فعل،والاستحلال: اعتقاد أن الله لم يحرمها وتارة بعدم اعتقاد أن الله حرمها، وهذا يَكُونُ لخلل في الإيمان بالْرُبُوبِيَّة، ولخلل في الإيمان بالرسالة،ويَكُونُ جحدًا محضًا غير مبني عَلَـى مقدمـة.وتارة يعلـم أن الله حرمها، ويعلم أن الرسول إنما حرم ما حرمه الله، ثُمَّ يمتنع عن التزام الْتَحْرِيم ويعاند المحرم فهذا أشد كفرًا ممـن قبله، وقَدْ يَكُونُ هذا مع علمه أن من لم يلتزم هذا الْتَحْرِيم عاقبه الله وعذبه، ثُمَّ إن هذا الامتناع والإباء إما لخلل في اعتقاد حكمة الآمر وقدرته فيعود هذا إلى عدم التصديق بصفة من صفاته، و قَدْ يَكُونُ مع الْعِلْم بجميـع مـا يصدق به تمردًا أو اتباعًا لغرض الْنَّفْس، وحقيقته كفر هذا؛ لأَنَّهُ يعترف لله ورسوله بكل ما أخبر به، ويصـدق بكل ما يصدق به المؤمنون، لكنه يكره ذلِكَ ويبغضه ويسخطه لعدم موافقته لمراده ومشتهاه، ويَقُول أنا لا أقـر

[152] الجصاص ، أحكام القرآن للجصاص: ٣/ ١٨١

[153] ابن تيمية : مجموع فتاوى ابن تيمية: ٣/ ٣٦٧

بذلِكَ ولا ألتزمه، وأبغض هذا الحق وأنفر عنه، فهذا نوع غير النوع الأول، وتكفير هذا معلوم بالاضطرار مــن دينالْإِسْلَام" [١٥٤].

الْعَلْمَانيّة حكم الْجَاهِلِيَّة وعبودية للهوى:

لَقَدْ جعل الله طريقين للحكم لا ثالث لهما: حكم الله أو حكم الْجَاهِلِيَّة، قَالَتَعَالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّة يَبْغُــونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[١٥٥] .يَقُول ابن كثير رحمه الله عند تفسير هَذِهِ الآية: (ينكر الله تَعَــالى عَلَى من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل عَلَى كل خير، الناهِيَ عن كل شر، وعدل إلا ما سواه مــن الآراء والأهواء الَّتِي وضعها الْرِّجَال بلا مستند من شريعة الله، كما كَانَ أهل الْجَاهِلِيَّة يحكمون به من الضــلالات والجاهلات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المــأخوذة عــن ملكهــم جنكيزخان الَّذِي وضع لَهُمْ الياسق، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قَدْ اقتبسها من شرائع شتى، من اليهودية والنصرانية والملة الْإِسْلَامِيَّة، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعاً متبعاً يقدمونها عَلَى الْحُكْم بكتاب الله وسنة رسوله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم ومن فعل ذلِكَ منهم فهو كافر يجــب قتاله حَتَّى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير).والْعَلْمَانِيّة بِمَا تقوم عَلَيْه من رفض الْشَّرِيعَة، تعبيد البشر إلى غير ما أنزل الله، فهِيَ ترجع بهم إلى الْجَاهِلِيَّة وتدخلهم في عبادة الهوى من دون الله.

الْعَلْمَانيّة كُفْرٌ بواح :

الْعَلْمَانيّة هِيَ قيام الْحَياة عَلَى غير الْدِّين، أو فَصْل الْدِّين عن الْدَّوْلَة، وهذا يعني بداهة الْحُكْم بغير ما أنزل الله،وتحكيم غير شريعته سُبْحَانَهُ، وقبول الْحُكْم و الْتَشْريع من غير الله... لذلِكَ فالْعَلْمَانيّة هجر لأحكام الله عامة بلا استثناء وتعطيل لكل ما في الْشَّرِيعَة، وإذا تبين هذا فإننا نقول بِمَا قاله الشيخ محمد بن إبراهِيَم رحمه الله: (إن من الكفر الأكبر المستبين تتريل الْقَانون اللعين مترلة ما نزل به الروح الأمين عَلَى قلب محمد صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم ليكون من المنذرين، بلسان عربي مبين، في الْحُكْم به بين الْعَالَمين، والرد إليه عند تنازع المتنازعين، مناقضة ومعاندة لقول الله عز وجل: (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)[١٥٦]... فإنه لا يجتمع الْتَحَاكُم إلى غير ما جاء به النبي صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم مع الإيمان

---

[١٥٤]ابن تيمية : الصارم المسلول لابن تيمية: ٥٢١ – ٥٢٢

[١٥٥]المائدة: ٥٠

[١٥٦]النساء : ٥٩

في قلب عبد أصلاً، بل أحدهما ينافي الآخر... إن ما جد في حياة الْمُسْلِمِين من تنحية شريعة الله، واستبدالها بالْقَوانِين الوضعية البشرية القاصرة، بل رمي شريعة الله بالرجعية والتخلف وعدم مواكبة التقدم الحضاري والعصر المتطور إن هذا في حقيقته ردة جديدة عَلَى حياة الْمُسْلِمِين)[١٥٧].

وهذا هُوَ ما قاله الشيخ عبد العزيز بن باز في معرِض رده عَلَى القوميين،حَيْثُ قَالَ: (الوجه الرابع من الوجوه الدالة عَلَى بطلان الْدَّعْوَة إلى الْقَوْمِيَّة الْعَرَبِيَّة أن يقال أن الْدَّعْوَة إليها والتكتل حول رايتها يفضي بالمجتمع ولا بد إلى رفض حكم القرآن لأن القوميين غير الْمُسْلِمِين لَنْ يرضوا تحكيم القرآن فيوجب ذلِكَ لزعماء الْقَوْمِيَّة أن يتخذوا أحكاماً وضعية تخالف حكم القرآن حَتَّى يستوي مجتمع الْقَوْمِيَّة في تلك الأحكام، و قَدْ صرح الكثير منهم بذلِكَ كما سلف وهذا هُوَ الفساد العظيم والكفر المستبين والردة السافرة)[١٥٨].

من أقوالِ العُلماءِ الْمُسْلِمِين في الْعَلْمَانِيّة

١-**قرَّرَمجلسُ مجمَّع الفقْه الْإِسْلَامِيّ** الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الْإِسْلَامِيّ : إنَّ الْعَلْمَانِيّة نِظَام وضعي يقوم عَلَى أساس من الإلحاد يناقض الْإِسْلَام في جملته وتفصيله، وتلتقي مع الصهيونية الْعَالَمية والدعوات الإباحية والهدامة، لهذا فهي مذهب إلحادي يأباه الله ورسوله والمؤمنون.[١٥٩]

٢-**اللجْنَة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ببلاد الحَرَمَيْن:** ما يسمى بالعلمانية الَّتِي هي دعوة إلى فَصْل الدين عن الْدَّوْلَة، والاكتفاء من الدين بأمور العبادات... دعوة فاجرة كافرة يجب التحذير منها وكشف زيفها.[١٦٠]

٣-**الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله:** والْعَلْمَانِيُّون الَّذِينَ ينبذون الْإِسْلَام وراء الظهر ويريدون غير الْإِسْلَام... يَكُونُ كفرهم وشرهم أكفر من اليهود والنصارى .[١٦١]

---

[١٥٧] رسالة "تحكيم الْقَوانِين " للشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ.

[١٥٨]رسالة (نقد القومية الْعَرَبِيَّة) للشيخ عبد العزيز بن باز .

[١٥٩]في دورة انعقاد مؤتمره الحادي عشر بالمنامة في مملكة البحرين، الموافق ١٤- ١٩ تشرين الأول (نوفمبر) ١٩٩٨م.

[١٦٠]الفتوى رقم ١٩٣٥١ بعضوية الشيخ بكر أبو زيد والشيخ الفوزان والشيخ عبد الله بن غديان والشيخ عبد العزيز آل الشيخ والإمام بن باز.

[١٦١]مجموع فتاوى الشيخ بن باز المجلد ٦ صفحة ٨٥

٤-**الشيخ العلامة صالح الفوزان** : الْعَلْمَانِيّة كفر، والْعَلْمَانِيّة هي فَصْل الْدِّين عن الْدَّوْلَة، والَّذِي يعتقد هذا الاعتقاد كافر، الَّذِي يعتقد أن الْدِّين ما له دخل في الْمُعَامَلات ولا له دخل في الْحُكْم ولا له دخل في الْسِّيَاسَة وإنما هُوَ محصور في المساجد فقط وفي العبادة فقط فهذا لا شك أَنَّهُ كفر وإلحاد،أَمَّا إنسان يصدر مِنْهُ بَعْض الأخطاء ولا يعتقد هذا الاعتقاد هذا يعتبر عاصياً ولا يعتبر علمانياً هذا يعتبر من العصاة.[١٦٢]

٥-**قَالَ الشيخ ابن جبرين رحمه الله** : الْعَلْمَانِيّة مذهب جديد وحركة فاسدة... وقَدْ دخل في هذا الوصف كل من عاب شيئا من تعاليم الْإِسْلَام قولا أو فعلا، فمن حكم الْقَوانِين وألغى الأحكام الْشَّرْعِيَّة فهو عَلماني، ومن أباح المحرمات: كالزنا والخمور والأغاني والْمُعَامَلات الربوية، واعتقد أن منعها ضرر عَلَى النَّاس،وتحجر لشيء فيه مصلحة نفسية،فهو علماني، ومن منع أو أنكر إقامة الحدود: كقتل القاتل،ورجم أو جلد الزاني والشارب، أو قطع السارق أو المحارب، وادعى أن إقامتها تنافي المرونة، وأن فيها بشاعة وشناعة - فَقَدْ دخل في العَلمانية.

كيفَ نتعاملُ مع الْعَلْمَانِيّين

فإنَّ من أقبح الآثام أن يضعَ المؤمنُ يدَه على يد الأحزاب الْعَلْمَانِيّة ، والحركات اليساريّة ، وقد دلت كثير من آي القرآن الكريم على تحريم ذلك وتجريم أهلِه ، فمن ذلك :قوله تعالى :(وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) ((١٦٣)) .
وكل من وقف على دعوات هؤلاء ومبادئهم لا يشك في أن التعاون معهم تعاون عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ.

والمؤمن مطالب بنصوص كثيرة بموالاة المؤمن ومعاداة الكافر ، وهذا ما يُعرف بعقيدة الولاء والبراء .فالولاء والوِلاية والوَلاية : النصرة ، والموالاة ضد المعاداة . والبراء : التنزه ، والتخلص ، والعداوة ، والبعد . وعلاقة الولاء والمحبة ، والبراء والبغضاء علاقة ملازمة ، فالولاء لازم المحبّة ، والبراء لازم البغض .

ومن أدلة التحريم جميع الأدلة التي تنادي بعقيدة البراء من الكفر وأهله .ومنها :

١-قال تعالى : (وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا) ((١٦٤)).

---

[١٦٢] فتوى مفرغة من درس المنتقى من أخبار سيد المرسلين بتاريخ ١٢ شوال ١٤٣٢ هجري

[١٦٣] / سورة المائدة : ٢ .

[١٦٤] / النساء : ١٤٠ .

فالآية تحرم الجلوس في المكان الذي يُكفر فيه بآيَاتِ اللّهِ وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا. ولا أدري إذا لم تكن مجـــالس الأحـــزاب الْعَلْمَانيّة مُتناوَلَةٌ بهذه الآية فأيُّ المجالس هي التي حُذِّرنا منها ؟! والآية المُشار إليها في هذه الآية هي :(وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ) ((١٦٥)). وقد توعد رسول الله كل من ظاهر مبطلاً بقوله :((من أعان ظالماً ليدحض بباطله حقاً فقد برئت منه ذمة الله وذمة رســوله)) ((١٦٦)) وممـــن لعنهم النبي : من آوى محدثاً ((١٦٧))، فكيف بمن عاونه ؟! هذا ، ولا يُغتر بطرحهم لبعض البرامج التثقيفية ، أو الإنسانية الخيرية ، أو غير ذلك مما يصدق عليه : باطنه فيه الرحمة، وظاهره من قبله العذاب .. لأنهم يريدون بها التدليس والتلبيس على الناس .

٢-يقول الله تبارك وتعالى : (لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ) ((١٦٨)) إن فئاماً من الناس يريدون أن يجعلوا قول الله تعالى : (إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً) ستراً يواري خبث فعالهم وسوء صنيعهم ، فتراهم يسارعون في الكافرين بكل سبيل. يقول الإمام الطبري –مفسراً (إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً):" إلا أن تكونوا في سلطانهم ، فتخافوهم على أنفسكم ، فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم ، وتضمروا لهم العداوة ، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر ، ولا تعينوهم على مسلم بفعل "((١٦٩)) .

٣-قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَــرُوا بِمَــا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَــبِيلِي وَابْتِغَــاء مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَــوَاء السَّــبِيلِ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاء وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ) ((١٧٠)).

إن العلمانيين في باب الولاء والبراء منقسمون إلى قسمين :

---

١٦٥ / الأنعام : ٦٨ .

١٦٦ / مستدرك الحاكم ، ومعجم الطبراني ، وصححه الألباني .

١٦٧ / صحيح مسلم .

١٦٨ / آل عمران : ٢٨ .

١٦٩ / جامع البيان : ٢٢٨/٣ .

١٧٠ / سورة الممتحنة : ١-٢ .

الأول : أهل الْعَلْمَانيّة الشاملة وهم أهل الكفر وهؤلاء يُبغضون بإطلاق ، ولا يُكِنُّ لهم المسلم إلا العداوة والبغضاء . فالمؤمن ذليل للمؤمن محب له ، عزيز على الكافر مبغض له ، قال تعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) ((١٧١))، وقال : (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ) ((١٧٢)).

الثاني: أهل الْعَلْمَانيّة الجزئية وحكمها حكم أهل المعاصي من المؤمنين ، وهؤلاء نحبهم لإيمانهم ، ونبغضهم بقدر معصيتهم .. فالزاني مبغوض ، والمشرك مبغوض ، وفرق بين البغضين . وشارب الخمر يُبغض وبذيء اللسان يُبغض وفرق بين البغضين . ولذا ثبت أن النبي تبرأ من بعض المؤمنين من أهل المعاصي ، فقد تبرأ من الصالقة التي ترفع صوتها بالبكاء عند المصيبة ، والحالقة التي تحلق رأسها عندها ، والشاقة التي تشق ثيابها عندها ((١٧٣)).

ولكن ليست هذه البراءة كبراءته الواردة في قول الله تعالى:(وَأَذَانٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ) ((١٧٤)).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :" وليعلم أنَّ المؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك ، والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك ؛ فإن الله سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله ، فيكون الحب لأوليائه والبغض لأعدائه ، والإكرام لأوليائه والإهانة لأعدائه ، والثواب لأوليائه والعقاب لأعدائه ، وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر وفجور وطاعة ومعصية وسنة وبدعة استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير ، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر ، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة ، فيجتمع له من هذا وهذا ؛ كاللص الفقير تقطع يده لسرقته ، ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته . هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة وخالفهم الخوارج والمعتزلة"((١٧٥)) .

حكم الانتماء للاحزاب الْعَلْمَانيّة : فلا يجوز لمسلم أن ينتسب إلى حزب يُعلن في برنامجه معاداة الشريعة أو الدعوة إلى عَلمانية الدولة، أو يتبنى من الوسائل والأساليب ما فيه محادة لله ورسوله، أو إلحاق الأذى بجمهور

---

١٧١ / المائدة : ٥٤ .

١٧٢ / الفتح : ٢٩ .

١٧٣ / صحيح البخاري .

١٧٤ / التوبة : ٣ .

١٧٥ / الفتاوى : ٢٠٩/٢٨ .

المسلمين؛ لأن ذلك كله من قبيل التعاون على الشر والتعاضد على البغي، وقد أوجب علينا ربنا سبحانه التعاون على البر والتقوى ونهانا عن التعاون على الإثم والعدوان . قال الشيخ العلامة الفـــوزان ((١٧٦)): (الانتمـــاء إلى المذاهب الإلحادية كالشيوعية، والْعَلْمَانيّة ، والرأسمالية، وغيرها من مذاهب الكفر، ردّة عن دين الإسلام، فـــإنْ كانَ المنتمي إلى تلك المذاهب يدّعي الإسلام، فهذا من النفاق الأكبر، فإن المنـــافقين ينتمـــون إلى الإســـلام في الظاهر، وهم مع الكفار في الباطن، كما قال تعالى فيهم: (وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّـــا وَإِذَا خَلَـــوْاْ إِلَـــى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ).((١٧٧))

حكم التعاون مع الاحزاب الْعَلْمَانيّة: ولا مانع من أن يتعاون المسلم مع أي حزب أو جماعة أو أفراد على البر والتقوى؛ إذ لا يشترط في التعاون على البر والتقوى أن يكون مع مسلم صالح ملتزم، بل قد يكون مع كـــافر أو فاسق؛ كما فعل النبي من شهوده حلف الفضول قبل البعثة، وقوله بعدها (شَهِدْتُ حِلْفَ بَنِي هَاشِمٍ ، وَزَهْرَةَ ، وَتَيْمٍ ، فَمَا يَسُرُّنِي أَنِّي نَقَضْتُهُ وَلِيَ حُمْرُ النَّعَمِ ، وَلَوْ دُعِيتُ بِهِ الْيَوْمَ لأَجَبْتُ عَلَى أَنْ نَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَنَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَنَأْخُذَ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ) ((١٧٨)) فقد يستفاد من الكافر أو الفاسق في إحقاق حق أو إبطال باطل؛ كما دلت على ذلك نصوص القرآن والسنة؛ كقوله تعالى على لسان كفار مدين في خطابهم لنبيهم شـــعيب عليـــه السلام ((وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ)) ((١٧٩)) فاستفاد شعيب عليه السلام من قومه الكفـــار في دفع أذى الكفار، وكذلك ما سعى في نقض الصحيفة الظالمة إلا كفار من أمثال المطعم بن عدي، والمقصود من الجواب التفريق بين الانتماء والتعاون.

---

١٧٦ / الشيخ العلامة الفوزان في كتابه الفريد : عقيدة التوحيد وبيان ما يضادُّها أو ينقُصُها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك

١٧٧ / البقرة/١٤.

١٧٨ / الحديث أخرجه البزار في (المسند) (١/ ١٨٥) إسناده حسن

١٧٩ / هود : ٩١

الْإِسْلَام عقيدة ونظَام

الْإِسْلَام: هُوَ الاستسلام والانقياد والخضوع والاذعان التام لله تَعَالى[١٨٠].واصبح الْإِسْلَام علماً عَلَى الدِّين الَّذِي أنزله الله تَعَالى للبشرية من لدن آدم الى محمد عَلَيْهِمْ أفضل السلام والتسليم اذ يَقُول الله تَعَالى : (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ)[١٨١] .وقَالَ الله تَعَالى لابراهيم عَلَيْه السلام:(إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)[١٨٢]وقَالَ عن نوح عَلَيْه السلام :(وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِين)[١٨٣] .وقَالَ يوسف عَلَيْه السلام:(تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ)[١٨٤]. وقالت ملكة سبأ:(وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)[١٨٥]وقَالَ سحرة فرعون لما أسلموا:(رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ)[١٨٦]. وقَالَ الحواريون للمسيح عَلَيْه السلام:(آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)[١٨٧]. فدل عَلَى أن الْإِسْلَام الَّذِي هُوَ دين جميع الأنبياء وأتباعهممُنْذُ أقدم العصور التاريخية إلى عصر النبوة المحمدية . وعقيد الأنبياء واحدة يَقُول الحق جل وعلا : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)[١٨٨] و أَمَّا الشريعية فَقَدْ جعل الله لكل نبي شريعة تتناسب مع زمانه ومكانه يَقُول الله تَعَالى : (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا)[١٨٩] فَقَدْ يَكُونُ الشحم في أُمَّة محرما وفي أُمَّة اخرى حلالا. الا أن العبادات موجودة في كل أُمَّة كالصلاة والزكاة قَالَ تَعَالى عن نبيه إسماعيل عَلَيْه السلام : (وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا) [١٩٠]. والصوم كقول الله : (كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ)[١٩١] . والحج في زمن ابراهيم، قَالَ عز وجل :(وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ) [١٩٢].وبمبعث محمد عَلَيْه السلام فَقَدْ اختصه الله بشريعة

---

[١٨٠] شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد – الإيمان – للشيخ : (محمد حسن عبد الغفار) .

[١٨١] آل عمران : ٢٠

[١٨٢] البقرة : ١٣١

[١٨٣] يونس : ٧٢

[١٨٤] يوسف : ١٠١

[١٨٥] النمل : ٤٤

[١٨٦] الأعراف : ١٢٦

[١٨٧] آل عمران : ٥٢

[١٨٨] الأنبياء : ٢٥

[١٨٩] المائدة : ٤٨

[١٩٠] مريم : ٥٥

[١٩١] البقرة : ١٨٣

[١٩٢] الحج : ٢٧

كاملة صالحة لكل زمان ومكان ، وأمر جميع النَّاس أن يتبعوا تلك الشَّرِيعَة ويتركوا ما كَانُوا يتبعونه من شرائع الرسل السابقين . وحكم عَلَى من ابتغى غيرالْإِسْلَام من الأديان بالخسارة، وقَالَ الله تَعَالى:(وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [193].فأصبح الْإِسْلَام عقيدة وشريعة .

الْعَقِيدَةالْإِسْلَامِيَّة: هي الأمور الَّتِي يجب أن يصدِّق بها قلبك، وتطمئن إليها نفسك ، وتكون يقينا عندك،لا يمازجه ريب ولا يخالطه شك. "جمعها النبي فـــي إجابته عَلَى سؤال جبرائيل عَلَيْه السلام عندما قَالَ له: ما الإيمان ؟ فَقَالَ: (الإيمان: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وشره) [194]. والْعَقِيدَة هي الجانب الأعظم الَّذِي أولاه الْإِسْلَام عنايته الكبرى أولاً في مكة المكرمة ، وهي مرحلة الإعداد والتربية والتكوين مدة ثلاثة عشرة سنة .

والشَّرِيعَة الْإِسْلَامِيَّة :هي النظم الَّتِي شرعها الله ، ليأخذ الإنسان بها نفسه في علاقته بربه وعلاقته بأخيه الْمُسْلِم وعلاقته بالإنسان وعلاقته بالكون والْحَيَاة .هُوَ النِّظَام الَّذِي ينبثق عن تلك الأصول الاعتقادية ويقوم عليها، ويجعل لهذه الأصول صورة واقعية متمثلة في حياة البشر الواقعية. فالنِّظَام والشَّرِيعَة معالجات لشؤون الْحَيَاة اي: كيفية عمل المكلف،في الامور الدِّينِيَّة في النِّظَام الاجتماعي والنِّظَام الاقتصادي ونظَام الْحُكْم ونظَام العقوبات ونظَام الْأَخْلَاق. والشَّرِيعَة والنِّظَام هي الجانب الَّذِي اولاه الْإِسْلَام العناية عندما بدأت الأحكام تتنزل عَلَى الأُمَّة في المدينة ،بعد أن أصبح لها وجود فعلي وكيان مستقل ودولة قائمة.وبهذا يتضح ان الْإِسْلَام عقيدة وشريعة، والْعَقِيدَة علمية والشَّرِيعَة عملية .والْعَقِيدَة اصول الدِّين والشَّرِيعَة فروع الدِّين.

الترابط بين الْعَقِيدَة والنِّظَام :و قَدْ ربط الْإِسْلَام بين الْعَقِيدَة والنِّظَام بين الايمان والسلوك بين الاصول والفروع ربطا محكما ومن ذلك قوله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم : (منْ كَانَ يُؤمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خيْراً أَو لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤمِنُ باللهِ وَاليومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جارَهُ، ومَنْ كَانَ يُؤمِنُ باللهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ)[195] .فانظر كيف ربط بين الايمان بالله وهي الْعَقِيدَة وبين اكرام الجار وهو شريعة ونظَام ولا يمكن الفَصْل بينهما . يَقُول جل ذكره مخاطبا الرسول صَلَّى الله عَلَيْهوَسَلَّم وأمته تبع له في ذلك: (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ)[196] .

---

[193]آل عمران : ٨٥

[194] مسلم : الإيمان (٨) ، والترمذي : الإيمان (٢٦١٠) ، والنسائي : الإيمان وشرائعه (٤٩٩٠) ، وأبو داود : السنة (٤٦٩٥) .

[195]رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:٦٠١٨]، وَمُسْلِمٌ [رقم:٤٧].

[196]الجاثية : ١٨

فالنِّظَام الاجتماعي في الْإِسْلَاميبحث في موضوع العلاقة بين الرجل والْمَرْأَة وقرر فيه احكاما شرعية في الخطبة والزواج والطلاق والخلع والعدة والرجعة وحرم فيه الزنا والخلوة وسفر الْمَرْأَة بدون محرم وان تكون رئيسة للدولة .وضع قواعد لزينة الْمَرْأَة ومنع الاختلاط إلا لضرورة أو حاجة.وحدد أن عمل الْمَرْأَة الأصليّ هُوَ أَنَّهَا أمٌّ وربَّة بيت وإنَّ عملَ الْمَرْأَة الأصليّ لا يمنعُها من مزاولة الأعمال في الْحَيَاة الْعَامَّة لكسب المال بقيود وحدود حَتَّى لا تفقدَ أنوثتها وتُحرمَ من أبنائها وتَضُرَّ زوجَها.

والنِّظَام الاقتصادي في الْإِسْلَام يبحث في موضوع حق الملكية فالمالك الحقيقي هُوَ الله وأن الله قَدْ استخلف الإنسان في الملك بقيود معينة.ويجوز تملك المال من خلال العمل والسمسرة والزكاة والميراث والنفقة والوصية والهبة ويحرم تملك المال من خلال مهر البغي وحلوان الكاهن والربا والاقتراض بفائدة والبيوع المحرمة كبيع التدليس والغبن والنجش والبيع بعد نداء الجمعة وبيع السلاح للحربي وبيع العصير لمن يتخذه خمراً.

ونظَام العقوبات في الْإِسْلَاميبحث في موضوع الجريمة وهي القتل والزِّنَا والقذف والسَّرِقَة وشرب الخمر والحرابة والبغي والردّة فوضع القواعد الدقيقة الَّتِي تنظمها لتحقيق مصالح النَّاس العقوبات رحمة للفرد وللمجتمع وزواجر وجوابر، زواجر وضعها الله للردع عن ارتكاب ما حظر وترك ما أمر وجوابر من الإثم.

ونظَام الْحُكْم في الْإِسْلَاميبحث في موضوع العلاقة بين الْحَاكِم والْمَحْكُوم ،فالْحَاكِم هُوَ الله تَعَالَى(إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ) [١٩٧]. وما الخليفة او الرئيس الا منفذ ومطبق لاحكام الله بالعدل وان الطَّاعة واجبة لله ولرسوله وللحاكم الْمُسْلِم ما لم يخالف الله ورسوله اذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . وان الشورى حق لجميع الْمُسْلِمِين حاكما ومحكوما رجلا وامراة وأنّ الشورى الْإِسْلَامِيَّة والدِّيمُقْراطِيَّة الْغَرْبِيَّة نقيضان لا يلتقيان. واختيار الْحَاكِم يَكُونُ من اختيار الأُمَّة ، فالأُمَّة هي صاحبة الْسُّلْطَة في تعيين الْحَاكِم بمحض اختيارها ولا يجوز وصول الْحَاكِم بطريق الوراثة في الْإِسْلَام .

اذاً ،الْإِسْلَام عقيدة ونظَاموالْعَقِيدَة علمية والشَّرِيعَة عملية .والْعَقِيدَة اصول الْدِّينوالشَّرِيعَة فروع الْدِّين.وكلاهما مرتبط بالآخر ارتباطَ الثِّمار بالأشجار، أو ارتباط المسببات بالأسباب والنتائج بالمقدِّمات، ومن أجْل هذا الترابط الوثيق يأتي العمل مقترنًا بالإيمان في أكثر آيات القرآن الكريم؛ ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ [١٩٨].

---

[١٩٧] الأنعام : ٥٧

[١٩٨] البقرة : ٢٥

وهذا الترابط بين الْعَقِيدَة والنِّظَام ينتج شخصة إِسْلَامِيَّة، فأصل مقومات الشَّخْصِيَّة الْإِسْلَامِيَّة أمران : الْعَقِيدَةالْإِسْلَامِيَّة وتتمثل في اركان الايمان ، والشَّرِيعَةالْإِسْلَامِيَّة وتتمثل في الإذعان والانقياد لأحكام الشَّرِيعَةفي جميع أنظمة الْحَياة .

الخلل بين الْعَقِيدَة والنِّظَام :فاذا حدث الخلل بين الْعَقِيدَة والنِّظَام كان الانسان في خسران ، وكَانَتْ شخصيته شخصية عَلمانية اي لا دينية .فالانسان امَّا أن يَكُونَ مسلما وامَّا أن يَكُونَ عَلمانيا .

والْعَلْمَانِيّة لها صور ثلاث:الاولى الْعَلْمَانِيّة الملحدة وهي علمانية لا تؤمن بالْعَقِيدَة الدِّينِيَّة ولا بالنِّظَام الديني ومن دعاتها ماركس وهيجل.والثانية الْعَلْمَانِيّة الغير ملحدة:وهي تؤمن بالْعَقِيدَة الدِّينِيَّة ولكنَّها ترفض النِّظَام الديني وتنادي بعزل الدِّين عن الدُّنْيا .والثالثة الْعَلْمَانِيّة المتدينة : وأهلها أفراد من الْمُسْلِمِين ويعيشون بين الْمُسْلِمِين ،مِن ذوي الْفِكْر المقبوح والتوجُّه المفضوح،عبدوا الله سُبْحَانَهُ عَلَى حرف؛لم يعرفوا من الْإِسْلَام الا اسمه ،ولا من القرآن الا رسمه ، كرمهم الله بالاسْلام فاختاروا لَهُمْ الغرب قبلة ،والعَلمنة مهنة . وعَلَى سبيل المثال : يدعون الى حُرِّيَّة الْمَرْأَة بالاختلاط والزنا والمصاحبة والمصادقة ولا يقبل بوجود الْحُكْم الْإِسْلَامِيّ في الواقع ويدعوا الى الربا والاقتراض وينكر العقوبات الْإِسْلَامِيَّة ويعتبرها تخلفا ورجعية .فهل يعقلُ ان نجدَ مسلماً (يعتنق الْإِسْلَام دينا) يَقُول: انا مسلم عَلْمَانِيّ !.فالْإِسْلَام دين كامل، ومنهج واضح، لا يقبل ولا يجيز أن يشاركه منهج آخر، وقَالَ سُبْحَانَهُ مبينًا كفر من أخذ بعضًا من مناهج الْإِسْلَام ورفض الآخر: (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَياة الدُّنْيا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُون)[١٩٩]، والأدلة الشَّرْعِيَّة كثيرة جدًّا في بيان ضلال من أنكر شيئًا معلومًا بالضرورة من دين الاسلام.

[١٩٩] البقرة : ٨٥

من كُتب المؤلف

الكتاب	ملحوظة
الاختلاف الفقهي وأثره عَلَى وحدة الأُمَّة الْإِسْلَامِيَّة	الْمَاجسْتِير
مفهوم العدالة الاجْتِمَاعِيَّة عند بعض المفكرين الْمُسْلِمِين	الدُّكْتُورَاة
مفهوم العدالة في النِّظَام الاجتماعي في الاسلام	٢٠٠/صفحة
مفهوم العدالة في النِّظَام الاقتصادي في الاسلام	٢٠٠/صفحة
مفهوم العدالة في نظام الْحُكْم في الاسلام .	٢٠٠/صفحة
مفهوم العدالة في نظام العقوبات في الاسلام .	٢٠٠/صفحة
السحر والشعوذة في ضوء الكتاب والسنة .	٥٥/صفحة
الطريق الى تَحْرِير القدس . (دار العلوم)	٢٠٠/صفحة
خطبة الوداع فوائد وفرائد .	١٥٠/صفحة
التبيان في روض البيان	١٥٠/صفحة
ليلة القدر نفحات ولفحات .	١٠٠/صفحة
وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ . (طرابلس)	١٠٠/صفحة
لمسات البيان من روض القرآن (جزآن)	٩٥٠/صفحة
الأَخْبَارُ النَبَوِيَّةُ الْفَاصِلَةُ في الأَحْدَاثِ الْعَالَمِيَّةِ المقْبِلَة	١٠٠/ صفحة
الأقصى بين العدوان المبين والخذلان المهين	٦٠/صفحة
الْعَلْمَانيّة شجرةٌ خبيثةٌ (مركز القمة)	٦٠/صفحة
التأصيل الشرعيُّ لحق العودة والتعويض	٦٠/صفحة
الخلاصة في مناسك الحج والعمرة والزيارة (مركز القمة)	٥٥/صفحة
من أعْلام الفُقهاء في فِلسْطين (الجزء الأول)	١٠٠/صفحة

فهرس المحتويات

كيفَ نتعاملُ مع الْعَلْمَانِيّين	
الاسلام عقيدة ونِظَام	

هذا الكتاب

هذا الكتاب يُعَرِّفُكَ بالْعَلْمَانِيّة بعَدوِّك القائِم والقادِم، بمن لَبسُوا ثيابَ أهل الإيمان،عَلَى قلوب أهل الزيغ والخسران، فالظواهر ظواهر الأنصار، والبواطن قد تحيزت إلى الكفار،فألسنتهم ألسنة المسالمين، وقلوبهم قلوب المحاربين. ويَقُولُون:(آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ). يُعَرِّفُكَ بمن خرجوا في طلب الْعَلْمَانِيّة الخاسرة والتجارة البائرة في بحار الظلمات؛ فركبوا مراكب الشبه والشكوك تجري بهم في موج الخيالات؛ فلعبت بسفنهم الريح العاصف فألقتها بين سفن الْهَالِكين (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ). يُعَرِّفُكَ بمن إذا قيل لَهُمْ تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول أعرضوا ، وإذا دعتهم أهواؤهم إلى أغراضهم أسرعوا إليها وانصرفوا ! فذرهم وما اختاروا لأنفسهم من الهوان ، والخزي والخسران. يُعَرِّفُكَ بالْعَلْمَانِيّة والْعَلْمَانِيّين ليكون الجميع عَلَى بصيرة من أمرهم كما قَالَ الله تَعَالى فيهم وأمثالهم: (وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ).